الرسالة



العدد ١٩٣ — ١٥ مارس سنة ١٩٣٧ — السنة الخامسة

5 me Année, No. 193

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 15 - 3 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العـــدد ١٩٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ محرم سنة ١٣٥٦ — ١٥ مارس سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

صفحة

٤٠١ جميل صدقى الزهاوى . . . : أحمد حسن الزيات
٤٠٣ أبو حنيفة ولكن بغير فقه : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٤٠٥ حيلان . . . . : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٤٠٨ الربيع . . . . : بقلم الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبى
٤٠٩ السلام المسلح . . . . . : بقلم باحث دبلوماسى كبير
٤١١ الحرب فى الأدبين العربى والانجليزى . . . . } الأستاذ فخرى أبو السعود
٤١٥ اسكندر بوشكين . . . . : ترجمة الأستاذ عبد الكريم الناصرى
٤١٨ تطور الحركة الأدبية فى فرنسا : الأستاذ خليل هنداوى
٤٢٢ شخصية الزهاوى . . . . : الأستاذ أحمد المغربى
٤٢٤ الزهاوى . . . . : الأستاذ أكرم زعيتر
٤٢٥ حديث الأزهار لألفونس كار : ف . ف
٤٢٦ تاريخ العرب الأدبى . . . : الأستاذ نيكلسون
٤٢٨ ذكرى حافظ ابراهيم (قصيدة) : الأستاذ أحمد الزين
٤٢٩ حافظ « « : الأستاذ فليكس فارس
٤٣٠ الفن المصرى . . . . . : الدكتور احمد موسى
٤٣٥ مؤتمر دولى للآثار — مجمع اللغة العربية الملكى — إحياء ذكرى حافظ ابراهيم .
٤٣٦ أسبوع الجاحظ فى الجامعة المصرية — مستقبل الكتاب — الأستاذ لامبير — مسرحية جديدة لشيلر .
٤٣٧ المتاحف المتنقلة — لوتسى كارولين راينر إحدى الفنانات البارزات — مجمع علمى فى ألمانيا يجمع نوادر المخطوطات عن علوم القرآن .
٤٣٨ إلى صاحب رسالة المنبر الأستاذ فليكس فارس — مؤتمر اللاسلكى الدولى — البعثات العلمية .
٤٣٩ البدائع (كتاب) . . . : يوسف محمد

جميل صدقى الزهاوى

بمناسبة ذكراه الأولى

(٢)



ولد الزهاوى (١) فى يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر يونيو سنة ١٨٦٣ ببغداد لأبوين كرديين كريمين تميزت أسرتهما بالدين والفقه والأدب، فقد كان أبوه محمد فيضى الزهاوى مفتياً لدار السلام وأخوه فقيهاً من فقهائها، فنشأ بين أبيه وأخيه يرتاض عقله ليتثقف، ويرتاش خياله ليطير؛ ولكن أخاه كما حدثنى جميل، كان حُرّ اللسان لا يتذوق الأدب؛ فكان يذوده عن رواية الشعر، ويصده عن دراسة اللغة، ويأبى عناده هو

(١) الزهاوى نسبة إلى زهاو وهي بلدة من أعمال كرمان شاه الفارسية كانت موطن جدته لأبيه .

وتسامح أبيه إلا أن يديم النظر فى الأدب ، ويروض القريحة على القريض . كان هم أخيه وأمل أبيه أن يستقيم على عمود أسرته فيكون صاحب قضاء وفقه ، ولكنه استقام على محتوم طريقته فكان صاحب دعوة وفلسفة . والاستعداد الموهوب فى الطبع هو مشيئة الخالق فى الخلق ، جعل من الزهاوى أبا العلاء وقد كان أهله يريدونه أبا حنيفة ؛ وجعل من الرصافى أبا نواس وقد كان الألوسى رحمه الله يريد أن يبعث فى معروف الرصافة معروف الكرخ !

كان العراق أيام نشأ الزهاوى تركى السلطان سنى الحكومة ، فالتعليم المدنى فيه كان تابعا فى لغته وطريقته وغايته لسياسة الأجنبى وهواه ، فلم يخرج الا رجال جيش يخضعون للنظام ، أو رجال إدارة يذعنون للحكم . أما التعليم الدينى فقد ظل فى صحون الجوامع على ماعهده الناس ، عربى اللسان حر النزعة طليق الفكرة مستقل الغاية . وطبيعة هذا النوع من التعليم الجدلى المطلق أن يخلق المجاهل للشعور البليد فيضل ، ويكشف الآفاق للفكر النافذ فيبلغ ، ويساعد الجبلة فى الانسان على حسب الاستعداد فتعلو أو تهبط ؛ فهو يساعد الهمة القاعدة على السقوط ، والنفس القانعة على القنوط ، والذهن المبطىء على التخلف ، كما يساعد العقل الحائر على التزندق ، والطبع القلق على التمرد ، والارادة المستقلة على الزعامة . ورجال الثورة والاصلاح فى تاريخنا الحديث كانوا جميعا من أهل هذه الثقافة ، كالأفغانى ، وعرابى ، ونديم ، ومحمد عبده ، وسعد زغلول ، والكواكبى ، والزهراوى ، والزهاوى ، ومن إليهم . والنابهون من أهل هذه الثقافة لاينفكون دائبين على القراءة والتتبع والمشاركة ليدفعوا عن أنفسهم معرة القدم . وهم عسيون إذا جددوا أن يسرفوا فى التجديد كذى العاهة يدفعه النفور من ذلة الضعف إلى الافراط فى العسف والتجبر .

فالزهاوى الجرىء بطبعه ، الطموح باستعداده ، تثقف بهذه الثقافة ، ثم تنفست على أعصابه الشاعرة أمواج العروبة ترسلها على بغداد الصحارى الملهمة ؛ ثم نزعه عرق العم والخال من الكردية فجاهد وجالد وغامر ؛ والكرد كالعرب إن لم يكونوا من العرب ؛ ثم ابتلى وهو فى الخامسة والعشرين من عمره بداء فى النخاع الشوكى لازمه بقية حياته ، ورمى بعد ذلك بالشلل فى رجله فبرم واكتأب وتشاءم ؛ ثم منى من عصره بفساد السلطان واستطالة الجهل وانحلال الخلق ، فدفعته هذه العوامل كلها إلى موقف المصلحين من الانذار والتضحية .

رأى وهو فى الأستانة عبد الحميد يلقى الأحرار مغلولين فى غيابة السجن أو فى قاع البحر ، فأرسل إليه مع رسبوتينه أبى الهدى قصيدة منها :

أيأمر ظل الله فى أرضه بما   نهى الله عنه والرسول المبجل
فيفقر ذا مال وينفى مبرأ   ويسجن مظلوماً ويسبى ويقتل
تمهل قليلا لا تغظ أمة إذا   تحرك فيها الغيظ لا تتمهل
وأيديك ان طالت فلا تغترر بها   فان يد الأيام منهن أطول

فسجنه حيناً ثم نفاه .

وسمع وهو عضو فى (مجلس المبعوثان) عن بغداد مقرر الميزانية يذكر فى وزارة الحربية مبلغاً جسيماً من المال جعلوه لقراءة البخارى فى الاسطول . فقال : أنا أفهم أن يكون هذا المبلغ فى ميزانية الأوقاف ، أما فى الحربية فالمفهوم أن الأسطول يمشى بالبخار لا بالبخارى . فثار عليه المجلس وشغب عليه العامة .

ورأى ماتعانيه المرأة من عنت الاستعباد والاستبداد والجهل ، فهب لايقاظها ونصرتها ، حتى كتب فى (المؤيد) مقاله المشهور : (المرأة والدفاع عنها) فزلزل الناس فى بغداد وفى غير بغداد ، فسعوا به إلى ولاة الأمر ليعزلوه ، وحرشوا عليه دهماء الشعب ليقتلوه ، فاضطر إلى لزوم داره .

ونظم فى أعقاب عمره (ثورة فى الجحيم) ففزع المتزمتون من شرها إلى الملك فيصل ؛ فلما كلمه فى ذلك قال : ماذا أصنع يامولاى ؟ عجزت عن اضرام الثورة فى الأرض فأضرمتها فى السماء !

* * *

لم يخلد الزهاوى إلى التبطل ، ولم يعش على مروءات الناس كأكثر أهل الشعر ، وإنما غامر فى خطير الأمور ، وطمح إلى بعيد المدارك ، فملأ حياته بالأمل الدافع والعمل المثمر : عين فى بغداد عضواً فى مجلس المعارف ، ثم مديراً لمطبعة الحكومة ، ثم محرراً للجريدة الرسمية ، ثم انتخب عضواً فى محكمة الاستئناف . ودعاه الخليفة حين نبه ذكره إلى الأستانة فحرك فيها لسان النقد ، وأقض بها مضاجع الجاسوسية ، فانتقض أمره وساء مقامه . ولما أعلن الدستور عين أستاذاً للفلسفة الاسلامية فى (المكتب الملكى) ، ثم مدرساً للآداب العربية فى (دار الفنون) ؛ ثم عاد إلى بغداد فعين أستاذاً للشريعة فى مدرسة الحقوق ، ثم انتخب نائباً عن العراق فى مجلس المبعوثان ؛ وهو فى خلال ذلك كله حركة ذهنية دائرة ، وجملة عصبية ثائرة ، لايفتر ليله عن الشعر أو القراءة ، ولا يكل نهاره عن الحديث أو الكتابة ، حتى غُلب الترك وأديل منهم فى بغداد للعرب ، فكان الشأن لأصحاب الجيش وأقطاب السياسة ؛ أما الزهاوى وأمثاله من رجال الفكر والشعر فاتخذوا طريقهم على الهامش . وكان الشاعر قد ألقى للمجد معاذيره من انسراق القوى واستحكام العلل ، فبات يرسل الأقباس والأضواء من جسمه المتهدم وقلبه المتضرم حتى خمد .

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

أبو حنيفـــة ولـكن بغير فقه

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قد انتهينا فى الأدب الى نهاية صحافية عجيبة ، فأصبح كل من يكتب ينشر له ، وكل من ينشر له يعد نفسه أديبا ، وكل من عد نفسه أديبا جاز له أن يكون صاحب مذهب وأن يقول فى مذهبه ويرد على مذهب غيره .

فعندنا اليوم كلمات ضخمة تدور فى الصحف بين الأدباء كما تدور أسماء المستعمرات بين السياسيين المتنازعين عليها ، يتعلق بها الطمع وتنبعث لها الفتنة وتكون فيها الخصومة والعداوة، منها قولهم : أدب الشيوخ وأدب الشباب ؛ ودكتاتورية الأدب وديمقراطية الأدب ، وأدب الألفاظ وأدب الحياة ، والجمود والتحول ، والقديم والجديد . ثم ماذا وراء ذلك من أصحاب هذه المذاهب ؟

وراء ذلك أن منهم أبا حنيفة ولكن بغير فقه ، والشافعى ولكن بغير اجتهاد ، ومالك ولكن بغير رواية ، وابن حنبل ولكن بغير حديث . أسماء بينها وبين العمل أنها كذب عليه وأنه رد عليها .

وليس يكون الأدب أدباً الا اذا ذهب يستحدث ويخترع على ما يصرفه النوابغ من أهله حتى يؤرخ بهم فيقال أدب فلان وطريقة فلان ومذهب فلان ، إذ لا يجرى الأمر فيما علا وتوسط ونزل الا على إبداع غيرَ تقليد ، وتقليدٍ غيرَ اتباع ، واتباعٍ غيرَ تسليم ؛ فلا بد من الرأى ونبوغ الرأى واستقلال الرأى حتى يكون فى الكتابة إنسان جالس هو كاتبها ، كما أن الحيَّ الجالس فى كل حي هو مجموعه العصبى ، فيخرج ضرب من الآداب كأنه نوع من التحول فى الوجود الانسانى يرجع بالحياة الى ذرات معانيها ، ثم يرسم من هذه المعانى مثل ما أبدعت ذراتُ الخليقة فى تركيب من تركيب ، فلا يكون للأديب تعريف الا أنه المقلد الالهى . (١)

وإذا اعتبرنا هذا الأصل فهل يبدأ الأدب العربى فى عصرنا أو ينتهى ؛ وهل تراه يعلو أو ينزل ؛ وهل يستجمع أو ينفض ، وهل هو من قديمه الصريح بعيد من بَعيدٍ أو قريب من قريب أو هو فى مكان بينهما ؟

هذه معانٍ لو ذهبتُ أفصلها لاقتحمت تاريخاً طويلا أمرُّ فيه بعظام مبعثرة فى ثيابها لا فى قبورها ... ولكنى موجز مقتصر على معنى هو جمهور هذه الأطراف كلها ، وإليه وحده يرجع ما نحن فيه من التعادى بين الأذواق والإسفاف بمَنازع الرأى والخلط والاضطراب فى كل ذلك ؛ حتى أصبح أمر الأدب على أقبحه ، وهم يرونه على أحسنه ، وحتى قيل فى الأسلوب أسلوب تلغرافى ، وفى الفصاحة فصاحة عامية ، وفى اللغة لغة الجرائد ، وفى الشعر شعر المقالة ، ونجمت الناجمة من كل علة ، ويُـزَيِّن لهم أنها القوة قد استحصفت واشتدت ، ونازع الأدب العربى إلى سخرية التقليد وإلى أن يكون لصيقاً دَعِيًّا فى آداب الأمم ، واستهلكه التضييعُ وسوء النظر له على حين يؤَتَّى لهم أن كل ذلك من حفظه وصيانته وحسن الصنيع فيه ومن توفير المادة عليه

أين تصيب العلة إذا التمستها ؟ أفى الأدب من لغته وأساليب لغته ، ومعانيه وأغراض معانيه ؟ أم فى القائمين عليه فى مذاهبهم ومناحيهم وما يتفق من أسبابهم وجواذبهم ؟

إن تقل إنها فى اللغة والأساليب والمعانى والأغراض ، فهذه كلها تصير إلى حيث يُراد بها ، وتتقلد البليَّةَ من كل من يعمل فيها ؛ وقد استوعبتْ واتسعت ومادّت العصورَ الكثيرة إلى عهدنا فلم توتَ من ضيق ولا جمود ولا ضعف . ثم هى مادة ولا عليها ممن لا يحسن أن يضعَ يدَه منها حيث يملأ كفَّه أو حيث تقع يدُه على حاجته

وإن قلت إن العلة فى الأدباء ومذاهبهم ومناحيهم ودواعيهم وأسبابهم ، سألناك : ولمَ قصَّروا عن الغاية ، ولم وقعوا بالخلاف ، وكيف ذهبوا عن المصلحة ، وكيف اعتقمت الخواطر وفسدت الأذواق مع قيام الأدب الصحيح فى نسبه مقامَ أمة من أهله أعراباً وفصحاء وكتَّاباً وشعراء ؛ ومع انفساح الأفق العقلى فى هذا الدهر واجتماعه من أطرافه لمن شاء ؛ حتى لتجد عقول

(١) استوفينا هذه المعانى فى مقالة « الادب والاديب » من مقالاتنا فى الرسالة

نوابغ القارّات الخمس تحتقب فى حقيبة من الكتب ، أو تُصَندَقُ (١) فى صندوق من الأسفار

كيف ذهب الأدباء فى هذه العربية نشراً متبدّدين تعلو بهم الدائرة وتهبط ، فكلٌّ أعلى وكل أسفل . هذا فلان شاعر قد أحاط بالشعر عربيه وغربيه وهو ينظمه ويفتنُّ فى أغراضه ويولد ويسرق وينسخ ويمسخ ، وهو عند نفسه الشاعر الذى فقدته كل أمة من تاريخها ، ووقع فى تاريخ العربية وحدها ابتلاء ومحنة ؛ وهو ككل هؤلاء المغرورين يحسبون أنهم لو كانوا فى لغات غير العربية لظهروا نجوما ، ولكن العربية جعلت كلا منهم حصاة بين الحصى . وتقرأ شعره فاذا هو شعر تتوهم من قراءته تقطيع ثيابك ، إذ تجاذب نفسك لتفر منه فراراً .

وهذا فلان الكاتب الذى والذى . . . والذى يرتفع إلى أقصى السموات على جناحى ذبابة .

وهذا فرعون الأدب الذى يقول : أنا ربكم الأعلى . وهذا فلان وهذا فلان .

أين يكون الزمام على هؤلاء وأمثالهم ليعرفوا ما هم فيه كما هم فيه ، وليضبطوا آراءهم وهواجسهم ، وليعلموا أن حسابهم عند الناس لا عند أنفسهم ، فالواحدة منهم واحدة وإن توهموها مائة وتوهمها بعضهم ألفاً أو ألفين . ومتى قال الناس : غلطوا فقد غلطوا ، ومتى قالوا : سخفاء فهم سخفاء .

وأين الزمام عليهم وقد انطلقوا كأنهم مسخرون بالجبر على قانون من التدمير والتخريب ، فليس فيهم إلا طبيعة مكابرة لا إقرار منها ، باغية لا إنصاف معها ، نافرة لا مساغ إليها ، متهمة لا ثقة بها ، طبيعة يتحول كل شىء فيها إلى أثر منها كما يتحول ماء الشجر فى العود الرطب المشتعل إلى دخان اسود .

***

يرجع هذا الخلط فى رأيى إلى سبب واحد : هو خلو العصر من إمام بالمعنى الحقيق يلتقى عليه الإجماع ويكون ملء الدهر فى حكمته وعقله ورأيه ولسانه ومناقبه وشمائله ، فان مثل هذا الإمام يُخصُّ دائما بالإرادة التى ليس لها إلا النصر والغَلَبة ، والتى تعطى القوة على قتل الصغائر والسفاسف ؛ وهو إذا ألقى فى الميزان عند اختلاف الرأى ، وُضع فيه بالجمهور الكبير من أنصاره والمعجَبين بآدابه ، وبالسواد الغالب من كل الفاعليّات المحيطة به والمنجذبة إليه ؛ ومن ثَمّ تتهيأ قوة الترجيح ويتعيّن اليقين والشكر . والميزان اليوم فارغ من هذه القوة فلا يرجّح ولا يعيّن

ومكانة هذا الإمام تحدُّ الأمكنة ، ومقداره يزنُ المقادير ، فيكون هو المنطق الإنسانى فى أكثر الخلاف الإنسانى : تقوم به الحجة فتلزم وإن أنكرها المنكِر ، وتمضى وإن عاند فيها المعاند ، ويؤخذ بها وإن أصرَّ المِصرُّ على غيرها . لأن بالإجماع على القياس يَبين التطرفُ فى الزيادة أو التقصير ؛ والإجماع إذا ضَرَب ضرب المعصية بالطاعة ، والزيغَ بالاستقامة ، والعنادَ بالتسليم ؛ فيخرج من يخرج وعليه وَسْمُه ، ويزيغ من يزيغ وفيه صفتُه ، ويصِرُّ المكابر واسمُه المكابر ليس غير وإن هو تكذّب وتأوّل ، وإن زعم ما هو زاعم

ولكل القواعد شواذّ ولكن القاعدة هى إمام بابها ؛ فما من شاذّ يحسب نفسَه منطلقاً مخلًّى ، إلا هو محدود بها مردود إليها ، متصل من أوسع جهاته بأضيق جهاتها ؛ حتى ما يعرف أنه شاذّ إلا بما تعرف به أنها قاعدة ؛ فيكون شأنه فى نفسه بما تعيّن هى له على مَكرَهته ومحبته

والامام ينبث فى آداب عصره فكراً ورأياً ، ويزيد فيها قوة وإبداعاً ، ويزين ماضيها بأنه فى نهايته ، ومستقبلها بأنه فى بدايته ، فيكون كالتعديل بين الأزمنة من جهة ، والانتقال فيها من جهة أخرى ؛ لأن هذا الامام إنما يختار لإظهار قوة الوجود الانسانى من بعض وجوهها وإثبات شمولها وإحاطتها كأنه آية من آيات الجنس يأنَسُ الجنسُ فيها إلى كماله البعيد ، ويتلقى منه حكم التمام على النقص ، وحكم القوة على الضعف ، وحكم المأمول على الواقع ، ويجد فيه قومه كما يجدون فى الحقيقة التى لا يكابر عندها متنطع بتأويل ، وفى القوة التى لا يخالف عندها مبطل بعناد ، وفى الشريعة التى لا يروغ منها متعسف بحيلة . ولن يضل الناس فى حق عرفوا حده ، فان ماوراء الحد هو التعدى ؛ ولن يخطئوا فى حكم أصابوا وجهه ، فان ماعدا الوجه هو الخلاف والمراء .

وقد طبع الناس فى باب القدوة على غريزة لا تتحول ، فمن انفرد بالكمال كان هو القدوة ، ومن غلب كان هو السمت ، ولابد

(١) كلمة وضعناها على قياس تحتقب

لهم ممن يقتاسون به ويتوازنون فيه حتى يستقيموا على مراشدهم ومصالحهم ، فالامام كأنه ميزان من عقل ، فهو يتسلط فى الحكم على الناقص والوافى من كل ما هو بسبيله ، ثم لا خلاف عليه إذ كانت فيه أوزان القوى وزناً بعد وزن ، وكانت فيه منازل أحوالها منزلة بعد منزلة .

هو إنسان تتخير بعض المعانى السامية لتظهر فيه بأسلوب عملى ، فيكون فى قومه ضرباً من التربية والتعليم بقاعدة منتزعة من مثالها مشروحة بهذا المثال نفسه ، فإليه يرّد الأمور فى ذلك وبتلوه يتلى وعلى سبيله ينهج ، فما من شىء يتصل بالفن الذى هو إمام فيه ، إلا كان فيه شىء منه ؛ وهو من ذلك متصل بقوى النفوس كأنه هداية فيها لأنه بفنه حكم عليها . فيكون قوة وتنبيهاً وتسهيلا وإيضاحاً ، وإبلاغاً وهداية ، ويكون رجلا وإنه لمعان كثيرة ، ويكون فى نفسه وإنه لفى الأنفس كلها . ويعطى من إجلال الناس ما يكون به اسمه كأنه تخلّق من الحب طريقتُه على العقل لا على القلب .

ولعل ذلك من حكمة إقامة الخليفة فى الاسلام ووجوب ذلك على المسلمين ، فلابد على هذه الأرض من ضوء فى لحم ودم ، وبعض معانى الخليفة فى تنصيبه كبعض معانى « الشهيد المجهول » فى الأمم المحاربة المنتصرة المتمدنة : رمز التقديس ، ومعنى المفاداة وصمت يتكلم ، ومكان يوحى ، وقوة تُستمد ، وانفراد يجمع ، وحكم الوطنية على أهلها بأحكام كثيرة فى شرف الحياة والموت بل الحرب مخبوءة فى حفرة ، والنصر مغطى بقبر ، بل المجهول الذى فيه كل ما ينبغى أن يعلم .

***

فعصرنا هذا مضطرب مختل إذ لا إمام فيه يجتمع الناس عليه ، وإذ كل من يزعم نفسه إماما هو من بعض جهاته كأنه أبو حنيفة ولكن بغير فقه .

ولعمرى ما نشأ قولهم « الجديد والقديم » إلا لأن هنا موضعا خاليا يظهر خلاؤه مكان الفصل بين الناحيتين ويجعل جهة تنحاز من جهة ، فمنذ مات الامام الكبير الشيخ محمد عبده رحمه الله جرت أحداث ، ونتأت رءوس ، وزاغت طبائع . وكأنه لم يمت رجل بل رفع قرآن .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

جيلان

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« ألا تعرفنى ما هذا الجديد ؟ »

ولم يكن كلامنا فى الأدب أو الفنون وإنما كانت المساكن والأحياء هى مدار الحديث . وكان الرجل يناهز الستين ولكنه فى نشاط ابن العشرين ، وأنا آنس به وأسكن إليه ، ويسرنى أن أجلس بين يديه وأصغى — أو لعل الأصح أن أقول أنظر — إلى عباب حديثه المتحدر فقد كان يذكرنى بالبحر ويروعنى مثله بمثل فيضه الزاخر

فقلت له « ياسيدى ، العارف لايعرف . . ولكنى أستأذنك فى أن أقول لك إنكما جيلان — أنت وبنوك — ومن حقك أن تتبرم بهم وتسخط على نزعتهم فى الحياة وتستسخف مطالبهم فيها وغاياتهم منها . . أنت حر فى ذلك ولكن من حقهم أيضاً أن يضجروا منك لأنهم ينزعون غير نزعتك وأن يطلبوا من الحياة غير ما تطلب ، لأن وجوهها اختلفت . وأظن أن هذا عدل »

فصاح بى : « عدل ؟ . كيف تقول ؟ . عدل أن يخرجونى من بيتى ويحملونى إلى حى أنا فيه غريب لا أشعر إلا بالوحشة ؟ . ويقصونى عن أحبابى وأصحابى وعشراء الصبى وأخدان العمر كله ؟ . ما عيب بيتنا بالله ؟ . إنى لست متعنتا . . أنت تعرف بيتنا فهل تعرف فيه عيباً ؟ »

قلت « كلا . . وأشهد أن لاعيب فيه . . واسع وصحى وأسباب الراحة فيه موفورة . . نعم لاعيب فيه ولكنى أعترف بأنى لو كنت ابنك لما فعلت إلا ما فعل بنوك . . أى لخرجت منه »

فقال « أنت كنت تفعل ذلك ؟ . حاشا لله . . إنك عاقل . »

قلت : « المسألة ليست مسألة عقل . . وإنما هى مسألة حياة تغيرت وجوهها وزمن اختلفت المطالب فيه »

قال : « إنى أجادلهم كل يوم . . الكلام فى هذا لا ينتهى بيننا »

قلت « وهذا حسن . . وجدتم على الأقل موضوعاً للكلام لاتخشون أن ينضب معينه »

قال: « اسمع . إنى رجل كبير وقد أديت واجبى وربيت أبنائى وهم الآن رجال يعتمدون على أنفسهم ولا يحتاجون إلى . . فرغت من هذا الأمر . . وأحب أن أقضى مابقى من عمرى فى بيتى . . بيتى أنا . . البيت الذى ورثته عن أبى وقضيت فيه خير عمرى . . بل عمرى كله . . وحولى جيرانى . . أعرفهم ويعرفوننى وأستطيع أن أجدهم عند الحاجة . . لقد رفسنى مرة حمار فى الطريق فأغمى على فلما أفقت ألفيتنى فى بيتى على سريرى . . هل تعرف من حملنى ؟ . جيرانى . . عرفنى أهل الحى فحملونى إلى بيتى . . لو وقع لى هذا فى الحى الجديد الذى نقيم فيه الآن لجاء الأسعاف وحملنى إلى مستشفى . . »

قلت « معقول . . أنت تفضل أن يحملك جيرانك وأهل حيك إلى بيتك فى مثل هذه الحالة ولكن بنيك يفضلون فى مثل هذه الحالة أن يحمل المرء إلى المستشفى . . زمنك لم يكن يعرف المستشفيات فأنت تنكرها وتشفق من أن تحمل إليها ولعلك تتطير من دخول المستشفى ، وعسى أن يكون اسم المستشفى مقروناً فى ذهنك بفكرة الموت . ولكن الزمن تغير ، والرأى فى المستشفيات اختلف ، وأبناء هذا الزمن الجديد يؤثرون العلاج فى دوره المجعولة له على العلاج فى البيوت ؛ فالذى تعده أنت مزية يرونه هم نقصاً ، والذى تراه أنت شراً يعتقدون هم أنه خير . . وهذا بعض الفرق بين الزمنين »

قال : « ولكنى كبرت ياسيدى . . ماذا يضرهم لو تركونى أقضى الأيام الباقية لى كما أحب ؟ »

قلت : « إنه لا يضرهم . وثق أنهم لا يأبون عليك ولا يكرهون لك أن تحيا حياتك على هواك ولكن تيار الزمن حملهم ـ وحملك معهم ـ إلى حيث لا تشعر إلا بالقلق وعدم الرضى ؛ والذنب للزمن لا لهم »

قال « إنهم يضحكون منى حين أقول لهم إن بيتنا قريب من المساجد فأنا أستطيع بلا عناء أن أزور السيدة نفيسة أو السيدة زينب وأن أصلى المغرب فى سيدنا الحسين ثم أشرب الشاى المغربى البديع هناك فى قهوة من القهوات القديمة . وأنتظر حتى أصلى العشاء ثم أعود إلى البيت . . يضحكون ياسيدى ويجعلون هذا موضوعاً لفكاهاتهم . . لايعجبهم إلا جروبى وشارع عماد الدين والسينما . . »

قلت : « أنت محق وهم غير مخطئين . . لقد فرغت من حياتك أو من واجبك فيها ، فأنت تريد أن تفرغ لربك . ولكنهم هم فى بداية الأمر وأول مراحل الحياة ، ولكل حياة بداية ونهاية ؛ ومن العنت أن تفرض عليهم فى البداية الحالات النفسية التى لا تكون إلا فى النهاية . وأنت لا تشعر بالحاجة إلى السينما مثلا لأنك لم تعتدها إذ لم يكن لها فى زمنك وجود ، وقد عشت بغيرها أكثر عمرك ففى وسعك بسهولة أن تعيش بقية العمر من غير أن يخطر لك أن السينما لازمة أو أنها ملهاة مستحبة ، ولكنهم هم نشأوا فى ظلها فصارت من وجوه حياتهم المألوفة ، وأحسبهم حين تعلو بهم السن ويفرغون من أمور الدنيا سيظلون يذهبون إلى السينما كما تذهب أنت الآن إلى المساجد للعبادة ؛ ولن يكونوا حينئذ أقل منك زهداً فى الدنيا أو انصرافاً عن باطلها أو ابتغاء لرضى الله . ومن يدرى ؟ . . عسى أن تكون هناك يومئذ أشياء جديدة غير السينما يرتادها أبناؤهم فينكر أبناؤك على أحفادك هذا الشغف بالجديد الذى جاء به الزمن كما تنكر أنت اليوم على بنيك كلفهم بالسينما . لكل زمن ياسيدى حكمه ، ولكل جيل روحه . . ويحسن بالمرء أن يوطن نفسه على ذلك »

قال : « نعم نعم . . إنى لست جامداً ولا متعنتاً بل أنا أدرك ذلك كله »

قلت « إن الادراك وحده لا يكفى ، والمعول فى مثل هذه الأمور على العادة لا على الادراك »

قال « صحيح . ولكنى مظلوم . . تصور أنى لا أشعر برمضان فى هذا الحى . . لا نسمع المدفع ، ولا يدق الباب علينا أحد ليوقظنا للسحور . . ولا نسمع الطبلة القديمة . . ولا المؤذن . . لا . . لا شىء من ذلك . وقد احتجنا إلى المنبه لنستيقظ على صوته حتى لا يفوتنا السحور . . تصور هذا . . الحق أقول لك إنى كنت لا أشعر أن هذا هو رمضان ، ولا أكاد أصدق أن صيامى مقبول . . أهذا هو رمضان . . ؟ من يقول هذا ؟ . . أين الأولاد الذين يطوفون بالمصابيح فيها الشموع الموقدة . . أين صيحات فرحهم وسرورهم بليالى رمضان . . أين السهرات اللذيذة . . سهرات الاخوان فى البيوت . . إنى أحس فى هذه الشقة الضيقة التى نسكنها أنى يتيم . . صحيح »

قلت « او لست يتيما . . »

قال «أعنى أنى أشعر بوحشة . . والباقى من عمرى قليل، وكنت أرجو أن يتركونى أقضيه فى بيتى وبعد أن أموت يمكنهم أن يصنعوا ما شاءوا . . وأظن أن هذا عدل»

قلت «عدل؟ . . من يدرى؟ . . هل من العدل أن تفرض على ثلاثة أو أربعة ضربا من الحياة لا يوافق إلا واحدا هو أنت؟ . . ربما كان العدل أن تحتمل أنت ما يوافق الأربعة . . على الأقل هذا أقرب إلى العدل أو أشبه به . . العدل؟ . . من يدرى ياسيدى . . »

قال «إنى أنظر إلى فائدتهم . . نحن الآن نخسر خمسة جنيهات كل شهر أجرا للسكنى، ولو كنا فى بيتنا لاستطعنا أن نقتصد هذا المبلغ أو أن ننفقه فيما هو أولى وألزم . . ألست توافقنى؟»

قلت «تسألنى الآن فجوابى نعم، ولو سألتنى قبل عشرين سنة لكان جوابى لا . . الشباب يفعل ما يعجبه لا ما ينفعه . . ينفق بلا حساب لأنه يشعر بفيض الحيوية ولا يشعر بالحاجة إلى التدبير والاقتصاد . . مليونير . . كيف يبالى بالقروش والملاليم؟؟»

قال «ولكن ألا ينبغى أن يفكروا فى المستقبل ويعدوا العدة للضعف؟ . »

قلت «إن هذا يكون أحجى ولكن الشباب رأسه مثل التليفون . . أعنى أنه يستطيع أن يقصى السماعة عن أذنه ويضعها فلا يسمع إذاهم صوت النذير بالكلام الثقيل . . »

قال: «يا شيخ لا تقل هذا . . إنه جنون»

قلت «صدقت . . إنه جنون . . ولكنه جنون القوة . . والشباب ينفض عن نفسه الهموم كما تنفض عن ثيابك التراب بأصبعك . . بلا عناء ولا اكتراث . . فى وسعه ذلك لأن عباب القوة زاخر . . والعقل يجىء . . مع الضعف . . والحساب له وقته . . أوانه، عند ما يحس المرء بأنه بدأ ينفق من رأس ماله . . يا سيدى هل تعرف مهندسا استطاع أن يوصد بوابات الخزان فى إبان الفيضان . . إنما يكون الخزن ويتيسر التدبير عند ما تفتر قوة الماء الدافق ويؤمن شر اندفاعه على كيان الخزان . . كذلك الإنسان . . هل كنت تنفق بحساب دقيق فى شبابك؟ . . »

فأطرق، فقلت «إنك تنسى أنك كنت كذلك . . لو استطاع الكهول أن يذكروا كيف كانوا فى شبابهم ولم يستغرقهم الإحساس بالحاضر وحده . . لعذروا . . »

قال «يعنى إنك موافق على ظلمى»

قلت «اسمع . . لو كان أبى حيا لما صبرت على معاشرته ولا أطقت الحياة معه فى بيت واحد وتحت سقف واحد . . فأبناؤك خير منى ألف مرة»

قال «إن لك أبناء؟»

قلت «نعم ولا أسف ولا سرور . . وسأعنى بأن أدعهم يحيون حياتهم وحدهم وعلى هواهم حين يستغنون عن هذه التكأة التى هى أنا . . »

قال «إنى لا أضيق على أبنائى . . أنا معهم كأخيهم»

قلت «ليس فى وسعك أن تضيق عليهم . وحسبك منهم أنهم أكرم من أن يضيقوا عليك . . المثل يقول: إنك لا تستطيع أن تأخذ زمانك وزمان غيرك . . ولو استطاع الإنسان ذلك لما كان عدلا»

قال «صحيح . . بس مشوار من العباسية إلى السيدة»

قلت «ألا تعلم أن الله خلق الترام»

قال «ولكنى أحب المشى . . مفيد»

قلت «فى وسعك بفضل أبنائك أن تستفيد الآن جدا من المشى»

ابراهيم عبد القادر المازنى

البزيع (*)
أعوذ بالله !

للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي

كانت الصحف قد ذكرت أن أحد أعضاء (مجمع اللغة العربية الملكي) اختار (البزيع) لفظة عربية (للجنتلمان) وروت (البزيع) بالذال لا بالزاي - فأمليت هذا القول :

في (القاموس المحيط) : «البذع الفزع ، والمبذوع المذعور المفزع ، وصبح بن بذيع محدث خراساني»

والخراساني (والله) مخيف ، وما سمي (بذيع) بذيعاً إلا لأنه كان يبذع الناس ، أو جاء يوم قبلته (١) القابلة مشيَّئاً (٢) هولة (٣)

فهل غزا (عضو مجمع اللغة العربية الملكي) هذه الكلمة المبذعة أم أراد (البزيع) بالزاي وهو الغلام الظريف الذي يتكلم ولا يستحي؟ ففي (اللسان) : «بزُع الغلام بزاعة فهو بزيع وبُزّاع : ظرف وملح ، والبزيع الظريف ، قال أبو الغوث : غلام بزيع : أي متكلم لا يستحي ، وغلام بزيع وجارية بزيعة ولا يقال إلا للأحداث»

فبزيع ليست لجنتلمان ، وان كان هؤلاء (الجنتلمنات) الانكليز قد عادوا يقولون ويفعلون ولا يستحون !

أجل ، قد جاء في (اللسان) أيضاً : «والبزيع السيد الشريف» لكن ليس من (أدب النفس) أن تسوء الرجل (السري (٤)) أو الكامل أو الفتى المهذب أو السيد الشريف بصفة شركه فيها الغلام الحدث

(*) من كتاب (أمالي النشاشيبي في أوقات الضجر) وهو في التهيئة للطبع

(١) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه

(٢) مشيأ : مختلف الخلق كأن فيه من كل قبح شيئاً

(٣) الهولة : الكريه المنظر ، وكل ما هالك يسمى هولة

(٤) السري هو المرىء الشريف ، والسرو او السراوة المروءة والشرف أو المروءة في شرف فـ (السري) عندي خير لفظة عربية لتلك الأعجمية (الجنتلمان) وقد فصلت ذلك في مقالتين في (الرابطة العربية)

وفي (تهذيب الألفاظ) لابن السكيت : «البزيع الظريف الحلو المجزيء ، والحلو الذي يستخفه الناس يكون خفيفاً على أفئدتهم»

وتعريف (التهذيب) - وإن لم يكن فيه قلة حياء - فيه الخفة ، ووصف «سري» - بأنه حلو خفيف - مؤلم مر ثقيل عليه

وما أرى هذه الكلمة البزيعية الباذعة إلا من طغام الكلام (١) ولن يحسبها الأدباء العربيون (٢) في قبيل (اللسان المبين) ، والجزيرة أقاليم ، والعربية لغات ، والعرب أمم

وبزيع الجماعة يذكرنا بقصة (بوزع) وهي فوعل من البزيع ، وقد رواها أبو الفرج في كتابه ، والبغدادي في خزانته ، وهذا بعضها وهو المهم المقصود في الحكاية :

« قال جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية لحماد الراوية :

أنشدني لجرير ، فأنشده :

بان الخليط برامتين فودعوا ... أوكلما اعتزموا لبين تجزع ؟

واندفع ينشده اياها حتى انتهى الى قوله :

وتقول بوزع :

قد دببت على العصا ... هلا هزئت بغيرنا يا بوزع ؟

قال حماد : فقال لي جعفر : أعد هذا البيت ، فأعدته ، فقال : بوزع إيش هو ؟ قلت : اسم امرأة .

فقال : امرأة اسمها بوزع؟ هو بريء من الله ورسوله ونفي من العباس بن عبدالمطلب ان كانت بوزع الأغولا من الغيلان . تركتني (والله) يا هذا لا أنام الليل من فزع بوزع .. ياغلمان ، قفاه . . . »

واني لو سمعت أعضاء (مجمع اللغة العربية الملكي) يتجادلون في (ديوانهم) في (بزيع وجنتلمان) لصحت : ياقوم ، انبذوا (البزيع) وخذوا (الجنتلمان) فما (فلان) واضراب (فلان) باقرب إلى مصر والعربية من (جورج لويد) و (برسي لورين) !

محمد اسعاف النشاشيبي

(١) من طغام الكلام : من فسله ، وفي سجعات الأساس : كلام الطغام طغام الكلام

(٢) قالوا : فارسي وفارسيون فقيل عربي وعربيون وفي الفضليات للمرقش الأكبر «كالفارسيين مشوا في الكمم»

في أفق السياسة الدولية

السلام المسلح

بقلم باحث دبلوماسي كبير

السلام المسلح هو بلا ريب شعار السياسة الدولية هذا العام فالدول العظمى تتسابق كلها فى ميدان التسليح بحماسة لم يسمع بها فى التاريخ ، ومع ذلك فالدول تؤكد نياتها السلمية ، وتدعى جميعاً أنها تقوى أهباتها الدفاعية دفعاً للاعتداء وتقريراً للسلم ؛ وقد كانت انكلترا إلى ما قبل أشهر قلائل أقل الدول العظمى تأثرا بهذه الحمى فى سبيل التسليح ، ولكنها اليوم تنزل إلى نفس الميدان ببرنامج للتسليح يفوق بضخامته كل ما عرف حتى اليوم ، وترصد لهذا البرنامج اعتماداً يبلغ ألفاً وخمسمائة مليون من الجنيهات ، وهو إسراف لم يسبق أن عرفته الامبراطورية البريطانية فى تاريخها الحافل رغم اهتمامها دائماً بشئون التسليح والدفاع ، وفى نفس الوقت الذى تتقدم فيه السياسة البريطانية بهذا البرنامج العسكرى الهائل تتقدم إلى العالم بنفس التأكيدات السلمية التى لم تنقطع عن ترديدها طيلة الأعوام الأخيرة ، وتعلن أنها لا تتسلح إلا دفاعاً عن نفسها وحفظاً لكيانها ومصالحها ، وتأييدا للسلام العالمى الذى كانت قوة بريطانيا العظمى دائماً عاملا كبيرا فى تعزيزه وتأييده

والسياسة البريطانية لا تخفى أنها كانت مسرفة فى حسن الظن بالعهود والمواثيق الدولية ، وفى الاعتماد على مبادىء السلم وحسن التفاهم بين الأمم ، وانها كانت مقصرة فى مجاراة الأمم الأخرى فى التسليح بالدرجة التى يقتضيها مركزها الدولى ، ومصالحها الأمبراطورية العظيمة ، فهى الآن تجرى على نفس سياسة السلم المسلح التى جرت عليها الدول الأخرى ، بعد أن أيقنت أن التخلف فى هذا المضمار يعتبر خطرا على هيبتها الدولية وعلى سلامتها وسلامة أمبراطوريتها المترامية الأطراف ، وبعد أن لمست عن قرب هذا الخطر جاثماً يتربص بها ويحاول أن يجد فرصة فى نقص أهباتها الدفاعية ، وهى تعود اليوم فترى أن الوسيلة العملية الوحيدة لاسترداد مكانتها الدولية ، وتأييد كلمتها وإرادتها وحفظ سلامتها وطمأنينتها ، هى أن تضاعف أهباتها فى التسليح حتى تستطيع أن تسحق أية قوة فى العالم تفكر فى مناوأتها والاعتداء عليها

وليس من العسير أن نستشف بواعث هذا التطور الحاسم فى السياسة البريطانية الحالية وتحولها إلى خطة السلام المسلح ، بعد أن كانت تعتمد على المواثيق الدولية والسلامة المشتركة والجهود السياسية ، ففى حوادث العام الماضى تفسير شاف لهذه البواعث ، وأولها وأهمها بالطبع هى المسألة الحبشية التى فتحت عيون السياسة البريطانية إلى حقائق لم تحسن تقديرها ، فقد دبرت ايطاليا اعتداءها على الحبشة عامدة متعمدة ، وغزتها واستولت عليها بوسائل عنيفة وحشية هي أدنى إلى القرصنة منها إلى الحرب الحقيقية ، ولم تعبأ بالمعاهدات المعقودة والمواثيق المقطوعة ولا بكون الحبشة من أعضاء عصبة الأمم ؛ وحاولت السياسة البريطانية أن تحشد دول العصبة ضد إيطاليا فى جبهة أدبية اقتصادية تقاومها بالاستنكار والمقاطعة ، فلم تحفل إيطاليا بهذا السلاح السلبي وسخرت منه كما سخرت من السياسة البريطانية ومحاولتها ، وانتهى الأمر باستيلائها على الحبشة ، ووطدت بذلك سلطانها الاستعمارى فى شرق افريقية بجوار السودان ومنابع النيل وكنيا وشرق أفريقية البريطانى . ولم يكن موقف السياسة البريطانية يومئذ دفاعاً عن الحبشة ذاتها ، وإنما كان وسيلة للدفاع عن مصالح الأمبراطورية ، لأن قيام العسكرية الفاشستية فى الحبشة على هذه الصورة المتحفزة يهدد سلامة الأملاك البريطانية ويهدد المواصلات الأمبراطورية فى البحر الأحمر ، وتوطد سلطة إيطاليا الاستعمارية يهدد سياسة بريطانيا البحرية فى البحر الأبيض المتوسط ، ولم تستطع بريطانيا العظمى يومئذ أن تلجأ إلى سلاح العنف لمقاومة المشروع الايطالى . ولم تحاول أن تغلق قناة السويس فى وجه القوات الايطالية لأنها أدركت يومئذ أنها ليست مستعدة للطوارىء تمام الاستعداد ، وأن من الخطر أن تدخل مع العسكرية الفاشستية المتوثبة فى معركة لا تؤمن عواقبها لهذا كله اكتفت بمراقبة الحوادث ، وشهدت على كره منها ومضض ظفر الفاشستية بغزو الحبشة وقيام الأمبراطورية الايطالية الاستعمارية ، وشهدت انهيار سياستها القائمة على تحريك العصبة ؛ ولم يخف على السياسة البريطانية ما أحدثه ذلك الفشل

من صدع لهيبتها ونفوذها الدولى ، ولم يخف عليها أنها كانت قصيرة النظر حينما اعتمدت على فكرة السلامة المشتركة ، وتخلفت فى مضمار التسليح حتى تفوقت عليها فيه أمم أخرى أصبحت تناوئها الآن وتشاكسها

وفى نفس الوقت الذى نفذت فيه إيطاليا اعتداءها على الحبشة على هذا النحو المثير ، أعلنت ألمانيا نقضها لميثاق لوكارنو الذى يكفل سلامة حدود الرين ، كما أعلنت نقضها لآخر النصوص العسكرية فى معاهدة الصلح المتعلقة بتحريم التسليح فى منطقة الرين . وانكلترا من الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو ، ومع أنها لم تتأثر بتصرف ألمانيا قدر ما تأثرت فرنسا فإنها رأت فى انهيار هذا الميثاق الذى كان يعد ضماناً قوياً للسلام فى غرب أوربا نذيراً سيئاً بانهيار فكرة السلام المشتركة وتقويض صرح السلام الأوربى ، ورأت فيه بالأخص ضربة أليمة لشرعية العهود والمواثيق تنذر بانهيار سلطان القانون الدولى ، وتبعث إلى الريب فى قيمة العهود الدولية ، وتحمل على عدم الاطمئنان إليها ، ما لم تكن من ورائها القوة الكافية لتأييدها وضمان تنفيذها

ثم كانت المشكلة الأسبانية ، وتدخل ألمانيا وايطاليا فيها الى جانب الثوار الأسبانيين لاقامة حكومة عسكرية فاشستية فى أسبانيا ؛ وقد لمحت انكلترا منذ البداية شبح الخطر الذى يجثم من وراء هذا التدخل ، وأدركت فى الحال أن قيام حكومة فاشستية فى أسبانيا تؤيدها ايطاليا والمانيا ، وكلتاهما تضطرم طموحا الى الفتوح الاستعمارية ، مما يهدد سيادتها فى غرب البحر الأبيض المتوسط ، وهى سيادة تحرص عليها بالسهر على مدخل هذا البحر من مضيق جبل طارق ، وهو توجس لم تلبث ان حققته تطورات الحرب الأسبانية ، وتدفق الجنود الايطالية والألمانية الى أسبانيا ، وما قامت به الدولتان من المناورات الاستعمارية المزعجة فى جزر البليار ومراكش الاسبانية

إزاء ذلك كله شعرت انكلترا بحقيقتين بارزتين ، الأولى ان هناك خطرا حقيقيا على سيادتها فى البحر الأبيض يتفاقم يوما بعد يوم ، وان ايطاليا الفاشستية تبذل جهودا جبارة لتحطيم هذه السيادة ؛ والثانية أن سلام أوربا لم يعد مكفولا ، وان ألمانيا وايطاليا المدججتين بالسلاح أصبحتا بما لهما من القوة العسكرية تتحكمان فى سلام القارة ، وتهددانه فى كل لحظة بنزعاتهما واطماعهما العنيفة ، وأنه أضحى من العبث ان تعتمد السياسة البريطانية على سياسة العهود والمواثيق والسلامة الاجتماعية ، وأنه لا بد من اعتمادها على القوة للدفاع عن سلامتها ومصالحها الامبراطورية الواسعة ؛ ومع ان انكلترا عقدت فى يناير الماضى مع ايطاليا اتفاقا باحترام الحالة القائمة فى البحر الأبيض ، والاعتراف بالمصالح المتبادلة وهو ما يسمونه « باتفاق الجنتلمان » ، فان السياسة البريطانية لم تكن ترى فيه على ما يظهر اكثر من وسيلة لتهدئة الحالة وتسكين الأعصاب المضطربة واكتساب الوقت ؛ بل يلوح لنا ان هذا الاتفاق الذى علقت عليه يوم عقده آمال كبيرة ، ينهار اليوم من أساسه ، لأن ايطاليا رأت فى برنامج التسليح البريطانى ، وفى دعوة الحكومة البريطانية للنجاشى الى حفلات التتويج ، ما يسوغ لها الارتياب فى موقف السياسة البريطانية ، والسير فى سياستها العسكرية المطلقة دون تردد أو تقيد

وقد كان لهذا التحول فى السياسة البريطانية ، والتجاء بريطانيا الى سياسة التسليح الشامل وقع عميق فى المانيا وايطاليا : ومما يلاحظ انه وقع على أثر اثارة المانيا لمسألة المستعمرات ومطالبتها بمستعمراتها القديمة بصورة رسمية ، ورد انكلترا على مطالبها بالرفض المطلق ؛ وقد أكد مستر ايدن وزير الخارجية البريطانية فى عرضه لسياسة بريطانيا الخارجية ، ان بريطانيا لا ترمى بالتسلح الى أية غاية اعتدائية ، ولا تفكر مطلقا فى تعكير السلم ، وكل ما ترمى اليه هو الدفاع عن سلامتها وسلامة أملاكها ومصالحها الامبراطورية ، ولم يخف الوزير أن ما شعرت به بريطانيا من خيبة الأمل فى قيمة العهود والمواثيق الدولية وقيمة السلامة المشتركة كان من أعظم بواعث هذه السياسة ، ولم يخف ان اخفاق العصبة في المسألة الحبشية كان صدمة أليمة للعصبة ولجميع الدول التى تؤمن بمبادئها ، بيد ان السياسة البريطانية ما زالت تؤمل فى مستقبل العصبة ومستقبل مبادئها السلمية الحرة . على أن هذه التصريحات الملطفة لم تخف الحقيقة البارزة فى تسلح بريطانيا ، وهى انه رد عملى على تسلح المانيا وايطاليا ، ورد القوة على القوة ، واعتزام التذرع بالعنف لرد العنف . ولن يستطيع منصف ان يلوم السياسة البريطانية على هذا التحول الذى اضطرت اليه لمثل هذه البواعث الحيوية القاهرة . ولكن برلين وروما لا تريان هذا الرأى ، أما برلين فلا تؤمن بما تقوله السياسة البريطانية فى تبرير

هذا التسلح ، بل ترى فيه تحديا وتهديدا خفيا لها لتأييد السياسة التى ترمى الى حرمانها من مستعمراتها ومطامعها الاستعمارية والاقتصادية المشروعة ، وأما رومة فلا تشك انه موجه اليها توجيها مباشرا لحرمانها من ثمرات تفوقها العسكرى وانتصارها فى الحبشة وتهديد سلامة امبراطوريتها الاستعمارية التى كسبتها بسيفها ، ولذلك رأينا المجلس الفاشستى الأعلى يجتمع بسرعة ويقرر مواصلة التسليح دون هدنة أو توقف ، وأن يترك فكرة الاتفاق على تحديد التسليح نهائيا ، وسيقترن هذا القرار باجراء مناورات بحرية وجوية كبرى فى مياه المضيق الواقع بين طرابلس وصقلية ، وهو المضيق الذى قد تفكر ايطاليا فى اغلاقه فى حالة الحرب لتقطع المواصلات البريطانية فى البحر الابيض المتوسط

وهكذا نرى معركة التسليح تضطرم بين الدول الكبرى . ولا ننس ان فرنسا قد اقرت كذلك برنامجا هائلا للتسليح ، وان روسيا السوفيتية قد دججت سلاحا وأضحت أقوى دول القارة.
بيد أنه مما لا ريب فيه أن للتسليح البريطانى آثارا يغتبط لها أنصار السلام ، ذلك أن بريطانيا لا تطلب مزيداً فى السلطان والملك ، ولا تفكر فى فتوحات أو غزوات استعمارية جديدة ، وانما تريد الدفاع عن امبراطوريتها القائمة ، ومقاصدها الدفاعية ظاهرة لا ريب فيها ، وفى وسع بريطانيا متى أتمت تسليحها واستكملت قوتها أن تغدو بمالها من الكلمة النافذة والقوة المرهوبة عاملا حاسما فى استتباب السلم العالمى

(***)

فى الأدب المقارن

الحـــرب

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

حب الحياة والإقبال على متعاتها والرغبة فى التكثر من خيراتها مركب فى طبائع الأحياء . وليس لحاجات الحى ورغباته ومطامحه نهاية ، بل تبقى له حاجة ما بقى كما قال الشاعر ؛ والنزاع بين الأحياء على خيرات الحياة من أجل ذلك متصل لا يفتر ، وهيهات يفتر وحب الخلاف والنزاع والجلاد ذاته بعض طبائع الأحياء ، والشغف بالغلب والتخايل بالقوة والزهو بالسيادة من أكبر مطامع الأحياء والانسان خاصة ، ومن ثم عرف الانسان الحرب من أول عصوره واشتغل منذ همجيته بمكافحة الأحياء من الوحش ومن أبناء جنسه ، وتم له النصر من قديم على أمة الوحش ، وما تزال معارك الانسان مع أخيه - أو عدوه - الانسان متصلة تشب بين حين وحين

وقد كابد الانسان فى شتى العصور أهوال الحروب وعلم علم اليقين عواقبها الوخيمة ؛ بيد أنه لم يستطع بعد أن ينبذها ، لقيامها على غرائز فى طبعه راسخة متأصلة ، ولما تليح به أمام عينيه من مزايا النصر ومغانمه ومجده ولألائه ، ومن ثم كانت مهمة دعاة السلم من أشق المهام ومطلبهم من أبعد المطالب ، وقد هبوا فى الفترة بعد الفترة يندون بالحرب وبلاياها ومغباتها ، فكانت صيحاتهم تترك صداها فى نفوس الكثيرين ، لا سيما فى أعقاب الحروب الطاحنة التى أهلكت الحرث والنسل ، ثم لا تلبث غرائز الانسان الفطرية أن تعاوده على أشدها ، وتبدأ الأمم سيرتها الأولى من الطمع والتفانى وتحكم القوة التى لا يفصل سواها بين المطامع المتضاربة

وللحرب آثارها المشهودة فى أدب كل أمة بلا استثناء . ولتلك الآثار ثلاث نواح : فالحرب أولا من أهم وسائل اتصال الأمم واختلاط الأفكار وتلاقح الثقافات ؛ وهى ثانياً وحى الجم الغفير من نظم الشعراء ونثر الكتاب الواصفين لوقائعها وسلاحها ورجالها ، الممجدين لأبطالها وانتصاراتهم ، المفاخرين بما كان دحر الأعداء وحماية الذمار وسلامة الشرف الرفيع من الأذى ؛ والحرب من جهة ثالثة أوحت بآثار أدبية شتى فى تبغيض القتال ، وتسفية اعتداء

الانسان على الانسان، والحض على السلم والدعوة إلى الاخاء والصفاء وإن كان أثر هذه الدعوة في الأدب أقل كثيراً مما فيه من الترنم بمجد الانتصار والتغنى بالعز والغلب، ولم تكثر آثار تلك الدعوة في الأدب إلا في العصر الحديث

وكل هاتيك الآثار بينة في الأدبين العربي والانجليزي، فقد خبت الأمتان وأوضعتا في مجال الحروب. وكان بين كل منهما وبين جيرانها وأعدائها ملاحم ومواقع جسام، وشهد أدبها قيام نهضة حربية عظيمة وتشييد أمبراطورية واسعة، وأنجبت كل منهما عظماء القادة وحازت مشهود الانتصارات، وذاقت أحيانا مرارة الهزيمة، ووقفت مراراً حيال الأخطار الجائحة التي تهدد كيانها وحريتها وتقاليدها، وشهدت الكثير من أمثال هذا كله يجرى بين الدول المجاورة والأمم المعاصرة لها، وعلى كثرة ما يحتويه الأدب الانجليزي من آثار كل ذلك فان ما في الأدب العربي منه أكثر، وذلك لأسباب عديدة:

فأولا ارتقى الأدب العربي وتوطد والأمة العربية ما تزال منشقة متناضلة، تتفاخر قبائلها بأيامها وانتصاراتها، أما الأدب الانجليزي فلم يبلغ عظمته إلا في ظل القومية الموحدة، ولم تنشق الأمة على نفسها وبمتشق بعضها الحسام لقتال بعض إلا مرة واحدة في عهد الصراع بين الملكية المطلقة والنظام الدستوري، وهي الفترة التي أنجبت القائد العظيم كرومويل، وفيما عدا ذلك يمتاز التاريخ الانجليزي بخلوه من الحروب الأهلية

وثانياً كانت الحروب أكثر طروءاً في تاريخ العرب منها في تاريخ الانجليز. حتى بعد توطيد الامبراطورية: فان تلك الامبراطورية ظلت - ما دامت لها قوتها - تجالد أعداءها في الدين من روم ووثنيين، حتى إذا ما وهنت قوتها انقسمت على نفسها، وكثرت في داخلها الدويلات والحروب

وثالثاً لأن كثيراً من أعلام الأدب العربي كعنترة وقطرى بن الفجاءة والمتنبي وأبي فراس، كانوا جنوداً يشهدون الوغى ويتمدحون بمآثرهم فيها، وقل من أدباء الانجليزية من كان كذلك، بل لقد ذكر أن المقاتلة في عهد التلاحم بين علي ومعاوية والخوارج كانوا إذا تهادنوا ليلا تقابلوا تقابل الأصفياء يتناشدون الأشعار

ورابعاً كان جل شعراء العربية المتأخرين متصلين بالأمراء والقواد، فلم يكن لهم ندحة عن وصف أعمال ممدوحيهم الحربية

كان العرب في الجاهلية في قتال لا يكاد يهدأ، وكانت بين قبائلهم وأشرافهم ثارات وعداوات لا تكاد تنتهي حتى اضطروا أن يتخذوا لهم موضعاً حراما ووقتاً حراماً ما تهدأ فيه الخصومات وتغمد الصوارم وتتصل أسباب الحياة والتعاون، وبالتمدح بالنصر في تلك الحروب والتفاخر بأيامها والتوعد والتربص، كان أكثر ما قيل من شعر في الجاهلية. وظلت لهذا الباب من الشعر المسمى بالحماسة مكانته بعد انقضاء عهد الجاهلية بطويل، وبه بدأ أبو تمام مختاراته الشعرية وبه سماها، وكثر في الشعر الجاهلي ذكر السيوف والرماح والخيول وغيرها من وسائل الحرب، وكثرت في العربية أسماؤها وأوصافها، وارتقى بين العرب البصر بالحروب وتأصلت فيهم ملكاتها، حتى أخرجت الجزيرة صناديد الاسلام الذين اصطلموا كتائب قيصر وآل ساسان، ومن الشعر الذي يعرض صور حروب ذلك العهد معلقة عمرو بن كلثوم التي يقول منها:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
وكنا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا

وكانت الرسالة النبوية، وكان صاحبها يجمع إلى عبقرياته العظيمة المتعددة التي لم تجتمع لانسان، البصر بالحرب والبلاء فيها فتخلف في أشعار ذلك العهد ولا سيما شعر حسان أثر ما كان بين المسلمين والكفار من كفاح؛ حتى إذا ما وحد الاسلام قلوب العرب انصرفوا إلى جهاد أعداء الدين، ومن عجب أن عصر الفتوح الباهر الذي تلا ذلك لم يترك في الأدب العربي إلا أثراً ضئيلا. وليس امتلاء النفوس برهبة الدين هو كل السبب في ذلك، بل يرجع ذلك أيضاً إلى جدة الحالة التي وجد العرب بها أنفسهم: من قتال أمم مخالفة لهم في الجنس واللسان والمسكن ووسائل القتال، ولعلهم لم يجدوا من اللذة والغبطة ودواعي الفخار في اجتياح تلك الجيوش المرتبة، ما كانوا يجدونه في مصاولاتهم البدوية المملوءة بالكر والفر والمساجلات الفردية.

وأهم من هذا وذاك أنهم لم يتعودوا الفخر بالأعمال القومية، التي يشترك في فخارها المضرى والبكرى والتغلبي، ولم يتعودوا أن ينظموا القصيد في الفخر على أعجمى، وإنما هم كانوا يترفعون على الأعجمى ترفعاً بدهياً بسيطاً لا يتكلفون له عناء النظم، ولا يحتفون بالقول، وآية ذلك حكاية الأعرابي الذي سئل: أتحب أن تكون ابن أعجمية ولك قصر في الجنة؟ فقال: لا أحب اللؤم بشيء. قيل: فان أمير المؤمنين ابن أمة، قال: أخزى الله من أطاعه!

إنما كان الفخر كل الفخر عند العربي في الظفر بعربي مثله، من قبيلة معادية لقبيلته، قد توارثت قبيلتاهما العداوة والتراث جيلا بعد جيل. وما هي إلا أن دسع الفتنة من جديد بين العرب حتى

ظهر أثرها فى الشعر: فهدد لمعاوية وحزبه، ومناصر لبنى هاشم أو مناصب لهم. ومفاخر بكلب أو بتغلب أو معير لهذه أو لتلك، إلى عهد بشار الذى يتمدح - على كونه من الموالى - بالغضبة المضرية التى تهتك حجاب الشمس؛ وظل الشعراء الذين يمدحون الخلفاء والأمراء والقواد ويمدحون بلاءهم فى الحروب، لا ينسون أن يذكروا مفاخر قبائلهم من قبل وبلاءهم فى الوغى، فاذا مدح الشاعر الحجاج ذكر ثقيفاً. أو عبد الملك ذكر أمية، وظل الشعر العربى دائماً يردد ذكر بنى مطر وبنى شيبان وبنى تنوخ وبلاء كل أولئك فى الحروب، وكان التساجل بين الشعوبيين وأنصار العربية فلم يكد يترك أثراً فى الشعر العربى، وحتى المتنبى يحفل شعره بذكر قبائل من مدحهم على التوالى، رغم تعصبه للعربية، وطول تألمه من أن يرى عرباً ملوكها عجم

بجانب تلك العاطفة القبلية نمت تدريجا عاطفة أخرى هى الرابطة الاسلامية، إذ تمكن الاسلام من نفوس معتنقيه ومجتمعهم تمكنا أحله محل القومية، وترددت تلك العاطفة فى أشعار الشعراء الممجدين لبلاء الخلائف والأمراء فى دفاع أعداء الملة، وكان للاسلام فى أول ظهوره عدوان كبيران: الوثنية وزعيمتها فارس، وقد فرغ من شأنها عاجلا، والنصرانية وممثلتها الدولة الرومانية، وقد ظل جهادها دائما من أول مهمات الخلفاء وولاة الثغور، وظلت حربها من أهم مايشغل بال المسلمين ويغذى عاطفتهم المشتركة وشعورهم القومى؛ ويتجلى أثر تلك الحروب بين الدولتين، أو بين الديانتين، فى أشعار أبى تمام والبحترى والمتنبى؛ ولما أعيت الدولة الرومانية الحيل استنجدت بغيرها من أمم النصرانية، فكانت الحروب الصليبية، التى ظهر أثرها فى شعر شعراء مصر والشام، ومن ذلك قول البهاء زهير فى السلطان الأيوبى:

فابلغ رسول الله أن سميه	حمى بيضة الاسلام من نوب الكفر
وأقسم إن ذاقت بنو الاصفر الكرى	فلا حلمت إلا بأعلامه الصفر

وبلغ المسلمون المبالغ فى فنون الحرب البرية والبحرية، وعنهم أخذ الصليبيون، ومن لغتهم نقل الغربيون كلمة الأميرال أو أمير البحر وغيرها من مصطلحات القتال، وحفل شعرهم بوصف المعارك والجيوش، وما توقعه بأرض العدو من دمار، كوصف أبى تمام لتخريب عمورية، ووصف الأساطيل؛ والمتنبى هو أصدق وصاف الحرب فى المتأخرين وأروعهم لانه كان يصف مايميل إليه بطبعه وما يمارسه ويشاهده بنفسه، ولا تكاد ترتوى منه لهفته، ومن ثم لاتقل أشعاره الحربية عن أشعار الجاهليين والاسلاميين صدقا وفطانة وتفوق بعضها جزالة وتجويدا، ومن جيدها وصفه لخيل سيف الدولة الذى منه:

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا	وما علموا أن السهام خيول
شوائل تشوال العقارب بالقنا	لها مرح من تحته وصهيل
كتائب يمطرن الحديد عليهم	فكل مكان بالسيوف يسيل

ومن جيد وصف الأساطيل قول ابن هانىء الأندلسى:

أنافت بها آطامها وسماؤها	بناء على غير العراء مشيد
وليس بأعلى كبكب وهو شاهق	وليس من الصفاح وهو صلود
إذا زفرت غيظا قد ترامت بمارج	كما شب من نار الجحيم وقود

ولم يقتصر ذكر الحرب على مواضعها الخاصة بها، ومناسباتها بين الحين والحين، بل كان أمرها من الشمول والاتصال والحضور فى أذهان الناس بحيث تسرب ذكرها فى شتى أبواب الأدب، واستعيرت صفاتها وأحوالها لمختلف الأغراض: ففى النسيب استعيرت السيوف والسهام للجفون واللواحظ، والقتل لشدة التتيم، وبالسيف شبه الممدوح صقلا ومضاء. وبه جرت الأمثال فقيل: سبق السيف العذل، وشبه المتنبى المنون بعدو لاتجدى المشرفية والعوالى فى قتاله، ولا تنجى السوابق المقربات من خببه، وقرن التمدح بالبلاء فى الحرب بالتشبيب، كما كان يفعل عنترة، وكما قال أبوعطاء السندى وهو البيت الذى تمثل به صلاح الدين الأيوبى فى بعض رسائله:

ذكرتك والخطى يخطر بيننا	وقد نهلت منا المثقفة السمر

وفى الأدب الانجليزى أوصاف رائعة للحروب، وتمجيد شائق لأبطالها، وتفاخر بانتصاراتها وما كسبته الأمة من اعتزاز وهيبة، وللمتون ومارفيل وكامبيل وتنيسون وكبلنج فى ذلك أشعار مأثورة. وقد كان مجال القول أمام أمثال أولئك الشعراء ذا سعة: فتاريخ الامبراطورية حافل بعظائم جنودها. نعم كانت سياسة بناتها دائماً سلمية لا تلجأ إلى الحرب إلا فى الحالة القصوى. ولا تندفع إلى ميدان القتال لمجرد الرغبة فى الظفر والافتخار. ولكن الدولة كانت دائماً عزيزة فى وطنية أبنائها. وقوة أسطولها، وقد كسب لها جيشها وأسطولها انتصارات باهرة خالدة، ودوخ أبطالها أمثال كرومويل وملبرا ونلسون وولنجتون الأمم، وأعلوا كلمتها فوق كل كلمة.

ولا يستأثر الشعر دون النثر بحديث الحرب ووقائعها وأبطالها بل هنالك كتاب سوذى عن نلسون ومقالات ماكولى عن كليف وهستنجز وفردريك الأكبر، وتاريخه وتاريخ جيبون، كل هاتيك حافلة بالوصف الدقيق البليغ لشتى المواقع والحروب، هذا إلى ما فى مختلف القصص من ذلك، ولا يكاد يكون فى العربية من مثل ذلك سوى بعض خطب الامام على بن أبى طالب، ورسائل فى بعض

الخلفاء إلى ولاتهم ينهونهم أن يؤذوا المسالمين أو يعيثوا فى الحرث والنسل ، وخطب بعض القواد كتلك المنسوبة إلى طارق بن زياد والتى تفيض بلاغة وشجاعة . ولا غرو فقد كان للشعر دائماً التقديم على النثر ، وقد ظل طويلا يستأثر دونه بالحفاوة

ولم يقتصر شعراء الانجليزية على نظم القصيد فى تمجيد انتصارات وطنهم وعظائم أبنائه ، بل التفتوا - كدأبهم فى كل فنون القول - إلى الماضى وإلى الخارج ، ونظموا فى المواقع التاريخية والخرافية ، إرضاء للفن وتسريحاً للخيال وتنشيطا للفكر ، فوصف تنيسون آخر معارك الملك آرثر وصفا أصبح من ذخائر الأدب المعدودة وآثاره السائرة ، أودعه كل مقدرته على تجسيم الوصف وخلق المنظر الكامل بدقائقه وألوانه وأصواته ، ونظم هاردى قصائد شتى فى حروب نابليون والثورة الفرنسية ، وكان له بحروب نابليون غرام كبير لقرب عهدها منه واشتراك بعض أقربائه فيها ، وفى تلك الحروب نظم ملحمته الكبيرة التى تعد أكبر آثار الشعر الانجليزى الحديث ، وفيها ينتقل بين شتى المناظر والأوصاف والنظرات والتأملات

ولم يخل الأدب العربى من ذم للحرب ودعوة إلى الاخاء ، ومن آثار ذلك أبيات زهير بن أبى سلمى المعروفة ، من معلقته حيث يمدح السيدين اللذين اصلحا بين عبس وذبيان بعد ما تفانوا ، ويستطرد إلى قوله : « وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم » ، غير أن ذلك قليل نادر . وقد كان الجهاد دائماً شعار الدولة الاسلامية ، وكان النزاع والغلاب دأب أمرائها ، وبذلك تفاخر فرسانها وبه امتدحهم مادحوهم من الشعراء ، وظل السيف والرمح والبنود والخيول فى شعر شعراء العربية مرادفات للعز والمجد والغلب والسيادة ، ولم يخل الأدب الانجليزى من محبذين للحرب متغاضين عن مغباتها كتنيسون الذى كان يرى الحرب وسيلة لا غنى عنها من وسائل العمران وتطهير النفوس من شوائب المادية والترف والأنانية ، غير أن الأدب الانجليزى أغنى بآثار النظرة الانسانية ، التى تبغض الحرب وتصور بشاعتها وبلاياها .

فنى قصيدته « البطولة » يقول كوبر معرضاً بملوك فرنسا : « أيها الملوك الذين يستهويكم المجد وتؤيدون بالدم دعواكم ، وتهوون بالضربة ثم تبررونها بالدفاع عن النفس ، المجد بغيتكم والحق ذريعتكم ، تسكن عبر النهر الذى يحد ملككم الحق ، ويريكم مدى ما يجوز لكم أن تنشروا عليه حكمكم ، أمة لا مطمع لها فى تاجكم ، حريصة على السلام ، سلام جيرانها وسلامها ، ولكن يا لشؤم طالع تلك الأمة ! ويا شد ما تتقاضاها جيرتها الوحيدة ، جيرة بمجاورتها إياكم ، أما هى إلا أن تنطلق الأبواق حتى تزحف كتائبكم إلى الخارج شاقة طريقها وسط المحصول الناضج ، يطأون فى كل خطوة حياة جماهير وخبز أمة ، فالأرض أمامهم جنة يانعة ، وهى خلفهم يباب بلقع »

وفى قصيدته عن موقعة بلنهايم التى كسبها القائد النابغة ملبرا . يصف سوذى شيخاً ألمانيا جالسا ذات مساء أمام كوخه فى أرباض البلدة التى دارت حولها رحى المعركة ، بعد جيل من حدوثها ، وحفيداه يلعبان حوله ، فاذا الطفلة ترى أخاها يدحرج شيئا مستديرا قد عثر به بجانب الجدول ، فتناول الشيخ ذلك الشىء والطفلان مشرئبان إليه يريدان أن يعلما ما هو ، حتى هز الجد رأسه قائلا . هذه جمجمة مسكين سقط يوم النصر العظيم ، وكثيراً ما أعثر بهذه الجماجم فى الحديقة ، وحين أحرث الحقل كثيراً ما يثيرها المحراث من التربة ، ولا غرو فقد سقط آلاف مؤلفة فى ذلك النصر العظيم . فيتساءل الطفلان بفارغ الصبر عن تلك الحرب وسبب تناحر الفريقين ، فيقول جدهما : شتت الانجليز صفوف الفرنسيين ، أما سبب ذلك فلا أعلمه ، بيد أن الجميع يقولون إنه كان نصراً عظيما . ويمضى واصفا كيف أحرقت مزرعة أبيه وألجىء إلى الفرار وكيف هلكت الحبالى والرضع ، ثم يردف قائلا : ولكن مثل هذه الأشياء يا ابنى تحدث فى كل نصر عظيم ، فالمجد لدوق ملبرا ولأميرنا الطيب يوجين ، فتصيح الطفلة : كيف ؟ لقد كان ذلك أمراً إداً ! فيراجعها الشيخ . كلا يا بنيتى بل كان نصرا عظيما ، وكل إنسان أطرى الدوق الذى كسب تلك الموقعة ، فيصيح الطفل . وماذا كانت فائدة كل ذلك ؟ فيسلم الشيخ تسليم العاجز قائلا : أما ذاك فلا علم لى به ، بيد أنه كان نصراً عظيما .

وآثار الحرب وأحاديثها على مختلف ضروبها ظاهرة محسوسة فى جوانب الأدبين ، ولا ندحة من أن تكون ظاهرة محسوسة فالحرب ناحية من نواحى حياة المجتمع الانسانى جليلة الخطر حاضرة الأهمية دائما ، تتصل برفاهية الأفراد ومستقبل الجماعات ومصائر الدول والمدنيات ، وبالحرب تتعلق كل معانى القوة والحرية والذود عن الحقيقة ، وقد كانت الحرب أحيانا ممهدة لانتشار الحضارة وازدهار الثقافة ، كما كانت إذا استفحلت وبالا على العمران وبلاء على الانسان بيد أنها قد تركت فى الآداب تلك الأوصاف الممتعة لملابسات الحروب ومشاهدها وأعقابها ، وقد خلدت هذه الآثار الأدبية الرائقة عبرة ومتاعا للألباب ، بعد أن غبرت تلك الحروب وهدأت تلك المطامع والثارات ، وذهب مسعروها ومن اصطلوا بها واستوى فى الترب القاهر منهم والمقهور ؟

فخرى أبو السعود

اسكندر بوشكين (١)

Alexander Pushkin

أمير شعراء الروس

ترجمة الأستاذ عبد الكريم الناصري



بوشكين

في يوم ١٠ فبراير احتفل الروس في بلادهم وفي خارجها بمرور مائة عام على وفاة شاعرهم الأكبر اسكندر بوشكين

وقبل خاتمته الفاجعة ببضعة شهور كتب يقول: «لقد أقيم لذكراي نُصب لم تَصْنَعه يد ... ولسوف يذاع اسمي في كل أرجاء روسيا، ولسوف يجري ذكري على كل لسان، ولسوف يتغنى بشهرتي كل روسي ...»

وقد أدهشت هذه النبوءة مريديه والمعجبين به، فما عرفوه قط من قبل يتحدث عن نفسه على هذا النحو، وإنما عرفوه حييًا متواضعاً على ما أصاب من شهرة ومجد. بَيْدَ أنه كان مُصيباً في قوله، فإن شعره الآن جزء لا يتجزأ من العقلية الروسية، وشهرته قد تجاوزت حدود بلاده، حتى أن بعض البلدان، كصربيا، وتشيكوسلوفاكيا، وفارس، احتفلت رسمياً بذكراه المئوية، هذا فضلا عن الاحتفالات التي أقامتها شتى أقطار الأرض. ومع ذلك لم يصب بوشكين في خارج روسيا ما هو حقيق به من الشهرة والتقدير، ولم ينل منهما في انجلترا ما ناله في فرنسا وألمانيا، بالرغم من أن المجلات الأدبية الانجليزية ذكرته سنة ١٨٢٢، ووصلته بقرائها، وبالرغم من أن جماعة من الشعراء والأدباء، ومنهم جورج بورو، تصدوا لترجمة قصائده

وقد كتب الشاعر الانجليزي المعاصر «موريس بيرنج»(١) فصولا في تقويم أدبه، وتقدير شعره، تعد من أحسن ما كتب عنه في أية لغة من اللغات بما فيها الروسية، كما أنه ترجم بعض قصائده الوجدانية ترجمة تدعو إلى الاعجاب على الرغم من قوله: «إن التصدي لترجمة أشعار بوشكين محاولة فاشلة، وعمل يائس، يشبه تصديك لتمثيل ألحان موزار بالرسوم والتماثيل، وتحويلها إلى الألوان والأحجار».

ولد «الكساندر بوشكين» في موسكو، في الثامن من يونيو سنة ١٧٩٩، وتوفي في بطرسبورج، في العاشر من فبراير سنة ١٨٣٧، وهو سليل أسرة من الأشراف، كان من شأنها الاعجاب بكل ما يتصل بفرنسا والفرنسيين ولا سيما آدابهم، وكان الفتى اسكندر يحفظ عن ظهر القلب كثيراً من بدائع موليير وفولتير، ولم يكن الحفظ عسيراً عليه، لما أوتيه من ذاكرة قوية ممتازة، وقد ظل طوال حياته قارئاً نهماً، حتى روى أنه لما حضره الموت شخص ببصره إلى الكتب المرصوفة على الرفوف وقال: «وداعا يارفاقي الأعزاء».

وأجداد بوشكين من جهة أمه أفريقيون، ويحتمل أنهم أحباش، وقد جُلب جده «أبرام هانيبال» إلى بطرسبورج — من القسطنطينية — هدية إلى بطرس الكبير، ثم صار سكرتيره الخاص، وكان بوشكين يفتخر بجده الأسود، وكان متأثراً بدمه الأفريقي، ولعل لهذا الدم يداً في نُضْجه المبكر، وفي هذه الحرارة التي تفيض بها أغانيه، على أن هذا التأثير لم يبلغ من الشدة بحيث يظن كثير من الناس

وفي سنة ١٨١١ دخل الليسيه في تسارسكوي سيلو Tseraskoye Selo، وهي مدرسة داخلية أسسها القيصر المتحرر الفكر اسكندر الأول، وشيد بنايتها في جانب من بلاطه؛ وهناك أنفق بوشكين ست سنوات سعيدات، طبعت أثناءها أولى قصائده، وكان عمره عندئذ أربعة عشر عاماً

ولما ترك المدرسة التحق بوزارة الخارجية، ولكنه لم يحبّر قط بلاغا رسمياً، وما كان ينتظر منه ذلك، وما بلغ الثامنة عشرة حتى كان باعتراف شيوخ الأدب، من أمثال كارامازين وجوكوفسكي، زعيما لشعراء عصره، وحتى كان شعره بغية الشبان يدرسونه ويحفظونه

(١) مترجمة عن مقالة نشرتها مجلة «المستمع» الانجليزية، بقلم أريادنا تيركوفا ويلمز، والظاهر من اسمها وإنشائها أنها روسية

(1) Maurics Baring

وقد لعبت السياسة دوراً مهما فى حياته ، فمع أنه لم يكن عضواً فى الجمعية السرية التى تشكلت سنة ١٨١٨ ، ثم سحقها الجيش فى فتنته (١) التى شبَّ أُوارُها سنة ١٨٢٥ ، فانه عبر فى قصائده عن أغراضها — وخلاصتها تأليف حكومة دستورية وتحرير الفلاحين — تعبيراً أقوى وأشد إقناعا من برامجها الطويلة ولكن مالبث الرأى العام أن اشتد فى مطالبته بالاصلاح والتحرير فقلّ تسامحُ القيصر وفترت همته الاصلاحية ، وكان بوشكين أول من نزلت به عاقبة هذا الخلاف بين الأمبراطور ورعيته وذلك أنه نشر فى ذلك الوقت قصيدته الموسومة « بالحرية » ، وقصيدتين أخريين فى هجو أرا كتشيف Araktcheev ، فنفى على أثرها إلى جنوب روسيا

وقد هيأ له منفاهُ — الذى لم يك قاسياً جداً — فرصة لمشاهدة بلاد القوقاس والقرم وبرارى صربيا ، حيث عاش تلك العيشة التى التمسها بيْرون (٢) ثم ظفر بها فى ألبانيا ، وكان بوشكين مسحورا ببيرون ، وما سحرهُ منه أسلوبهُ الشعرى ، بل بساطتهُ وإخلاصهُ (٣) وعنفُ عواطفه . وفى سنة ١٨١٩ ، دخلت الترجمة الفرنسية لكتاب بيرون Childe Harold روسيا ، فرحب بها هو وطائفة من أصدقائه الأدباء ترحيبا حماسيا ، بالرغم من سقمها وركاكتها . وبلغ من إعجاب الشاعر الروسى العظيم بالشاعر الانجليزى أنه أخذ نفسه بتعلم الانجليزيه ليقرأه بلغته الأصلية ، ولكن أسرار النطق الانجليزى كانت تحيره وتربكه ، حتى أن أصدقاءه الذين تعلموا الانجليزية منذ طفولتهم كانوا إذا سمعوه يقرأ عليهم شكسبير لا يملكون أنفسهم من الاغراق فى الضحك لأنه ينطق بالألفاظ الانجليزية كأنها لاتينية !

تأثر بوشكين ببيرون ولم يقلده — فما كان مقلداً وإنما كان مستعدا على الدوام لأن يتعلم ليس غير — وظهر هذا التأثير فى قصيدتيه « سجين القوقاس » و « نافورة باختشيساراى » . على أن التشابه قليل والفرق واضح بين الشاعرين : فبوشكين أرق وأودع ، وفكاهته النادرة أعمق ، فى غير إيلام ، وفهمه لطبائع الشعوب وخصائص البلدان أوسع وأبعد مدى .

بيد أن تأثير بيرون زايل شاعرنا بالتدريج حتى إذا بدأ بتأليف قصته الشعرية « إفجينى أونيجن » Evgeni Onegin لم يكن بقى منه شىء . وتعد هذه القصيدة أول ما ألف من القصص الروسى الجيد ، وكان ترجنيفا يقول إن أربعة أبيات من مقدمتها تفضل آثاره جميعاً ، وكان لينين يجد فى صفحاتها مريحاً من عناء العمل ، وقد سمى القيصر نقولا الثانى ابنتيه الكبريين — تاتيانا وأولغا باسمىْ الأختين فى الرواية

ومع ذلك كان بوشكين يفضل عليها قصيدتيه « بوريس جودونوف » (١٨٢٥) ، و « بولتافا » (١) (١٨٢٨) ، والأخيرة قصيدة تاريخية تصور النزاع بين بطرس الكبير وتشارلس الثانى عشر ملك السويد

أما الأولى فقد نظمها فى « ميخيلوفسكوى » Michailovskoye وهى بيعة لأبيه ، كان الشاعر نفى إليها بعد عودته من منفاه الأول لوقوع السلطات على رسالة له فيها ما يكرهون . وفى هذه الأعوام اشتد تركيز ذهنه وتمت له السيطرة على صناعته ، وقوى فيه الشعور بقيمة اللفظ فى الشعر ، حتى كان لا ينشر القصيدة إلا بعد أن ينحى عليها بالتصحيح والتنقيح أعواما

كان بوشكين حين نظم « جودونوف » تحت تأثير شكسبير . وهو من أوائل الروس الذين عرفوا شكسبير وقدروه حق قدره . قال فى رسالة إلى بعض أصدقائه : « أى رجل شكسبير هذا !! وما أصغر بيرون ، كتراجيدى ، بالقياس إليه . . إن بيرون لا يقدر أن يصف إلا شخصية واحدة ، هى شخصيته . فهو يعطى لهذه كبرياءهُ ، ولتلك بغضتهُ ، ولأخرى مزاجهَ السوداوىّ ؛ وهكذا ينتزع من شخصيته القوية النشيطة شخصيات كثيرة لا قيمة لها . وليس هذا من الفن التراجيدى فى شىء » (٢)

وقد خلصه النفى من الاشتراك فى الثورة التى قام بها أصحابه المعروفون بال Decabrists ولما أذن له القيصر نقولا الأول فى العودة من المنفى سنة ١٨٢٦ ، واستدعاه إلى موسكو . سأله « ماذا كان يكون موقفك يوم ١٤ ديسمبر فى موسكو ؟ » فأجابه بوشكين : « كنت أشترك مع إخوانى العصاة »

وكان اجتماع القيصر بالشاعر خطة مدبرة أريد بها التأثير فيه وفى جمعيته التى استثار غضبها إعدامُ خمسة من الثوار . ولم

---

(1) Rising. (2) Byron. (3) Disenchantment.

(1) (Boris Godounoff ; Poltava).

(٢) يقصد أن بيرون لا يحسن أن يصور من الشخصيات إلا التى تتميز بصفة من صفاته . فاذا تقدم لتصوير شخصيه ليس لها هذه الصفة ، عاد خائباً . فكأنه لا يصور شخصيات ، وإنما يقطع شخصيته أوصالا عديدة تؤلف كل منها شيئاً يحسبه شخصية ، وما هو بشخصية . (المعرب)

يكن پوشكين ـ على قوته العقلية العظيمة ـ ليختلف عن الطفل فى سذاجته وسرعة تصديقه وانقياده ، ولذلك لم يجد القيصر صعوبة فى اختلابه واجتذابه وإقناعه بأن الهدنة قد عقدت أخيراً بينه وبين الحكومة . ولم يكتشف كيف عبث به القيصر بمساعدة رئيس البوليس ـ كونت بنكيندورف ـ إلا بعد سنين

لم يكن پوشكين يتصور وهو فى منفاه مدى الشهرة التى نالها بين قومه . فلما عاد إلى الاشتراك فى الحياة الاجتماعية أذهلته مقابلتهم له . فقد كتب بعض الكتاب يقول : « موسكو السعيدة تحتفل اليوم بتتويجين : تتويج القيصر وتتويج الشاعر »

وفى الثلاثين من عمره تزوج من فتاة جميلة فى الثامنة عشرة تدعى « نتالى جونخاروفا » ولم يجلب عليه هذا الزواج سعادة بل ولا هدوءاً ، وما كان بيت الزوجية أكثر من خان باهظ النفقات . كان الشعر آخر شىء تحفل له الزوجة الشابة ، على أنها نجحت فى المجتمع نجاحاً كبيراً . وفى هذه الفترة من حياة پوشكين ساءت أحواله . فقد تراكمت عليه الديون ، وتغير ذوق الجمهور فلم يعد يتحمس ذلك الحماس لروائع آثاره ، وتزايد حقد بعض فرق الارستقراطية عليه ، فعزم على الخروج بزوجه وأطفاله الأربعة إلى إحدى ممتلكات والده ، حتى يتفرغ لمشاريعه الأدبية الكثيرة ، ولكن القيصر عارض الفكرة . فاضطر إلى البقاء ، واستمر فى الكتابة فاتر الهمة مكتئب النفس : وحدث أن شاباً فرنسياً جميلا يقال له البارون دانت Baron D'Antes ، تعرف بزوجته وأخذ يتودد إليها فى إلحاح شديد ، فدعاه پوشكين إلى المبارزة ، فبارزه وجرحه جرحاً بليغاً ، أودى بحياته بعد يومين . وبموته تمت نبوءة عراف قال له سنة ١٨١٩ ، إنه سيصير معبود قومه ، وينفى مرتين ، وبأن عليه أن يحذر رجلا جميلا قد يقتله حين يبلغ السابعة والثلاثين

اعتبر الشعب موت پوشكين رزية وطنية ، واشتد حزنه عليه حتى خشيت الحكومة أن يؤدى إلى قيام مظاهرات عدائية فأمرت بنقل الجثمان سرا إلى مقبرة «سفياتيجيورسكى» ـ القرية من ميخيلوفسكوى ـ وهناك دفن

فى أول ترجمة ظهرت بالانجليزية لحياة پوشكين ـ وهى ترجمة رائعة نشرتها مجلة « بلاكوود مجازين »[1] سنة ١٨٤٥ ـ كتب صاحبها توماس شو Thomas Shaw ، أستاذ الانجليزية فى كلية (ليسيه) تسارسكوى سيلو ، يقول : « يمكن أن يقال إن قصيدة (إفجينى أونجين) أصبحت جزءاً من لغة الشعب الروسى » ولا يزال هذا القول ـ وقد تقضت مائة عام ـ صحيحاً ملموساً

إن اسم « پوشكين » يرن فى أسماع الروس رنين الأغانى والأغاريد . وقد تأصلت شخصيته فى أعماق العقلية الروسية ؛ وإن الروسى ليعجز ، إن سألته ، عن تفسير حبه لپوشكين ، عجزه عن تفسير حبه للبحر أو لنور الشمس وقد يكون جوابه ابتسامة سعيدة يشرق بها وجهه

(بغداد) **عبد الكريم الناصرى**

(1) Blackwood Magazine.

جولات فى الأدب الفرنسي الحديث

تطور الحركة الأدبية

فى فرنسا الحديثة

العلم فى القصة ـ القصة التحليلية العلمية

پول بورجيه P. Bourget ١٨٥٢ — ١٩٣٥

التحليل العلمى عند بورجيه . التحليل الحى . المثالية
الرواية التقليدية أو آثار بورجيه الاخيرة

تختلف بيئات الأشخاص — عند پول بورجيه — عن بيئات المدرسة الواقعية ، فأرواح أشخاصه تكاد تحيا منعزلة عن أجسادها ، وهى ليست مختارة من الأشخاص المرضى أو المنحطين . وبالاجمال لا يحيا أشخاصه فى بيئة تلك المدرسة . وليس أشخاصه من سواد الناس ولا بموسرين سئموا الحياة ، وان منهم النساء الكبيرات والعاطلين ، مفكرين أو فنانين . وقد عد أرباب المدرسة الواقعية رواياته من نوع (السنوبيزم) لأنها فى أجزائها الأولى قد تجسدت من ذلك الايمان بالعلم الذى كان مذهب زولا

وقد علم بورجيه أن أبرز صفة للشباب الحديث هى صفة « القلق العلمى » . وهذا القلق هو الذى كان يهيمن عليه يوم كتب رواياته ، وكان معلموه منهم « ستندال » الذى قرن فعل الخيال إلى الدراسة النفسية ، و « تين » الذى ابتكر علم النفس ، والذى بين أن فى النفوس بعض أسباب وعلل تجر بالضرورة إلى بعض أفعال ، وهذا علم النفس هو الذى وضع لرجال التشريح النفسى مبادىء وقوانين خارقة ، وهكذا لم تعد القصة وضعاً ولا تحليلا وانما أصبحت إيضاحاً

إن الدرس العلمى فى امكانه أن يولد تحليلا جذابا وجدلا عميقا يجعل من صاحبنا مؤلف « تجاريب نفسية حديثة » نقاداً واجتماعيا أكثر مما يجعل منه قصصيا ، لأن القصة ما هى إلا التعبير عن الحياة ، والحياة لا تكون حياة إلا اذا ظلت محافظة على ظواهرها فى حريتها واختيارها ، أما التحليل العلمى فقد لا يكون إلا ضربا من التشريح ، وكما يعلم بورجيه ، أن كل ما يشرح هالك ، على أن من حسنات عبقريته أنه وجد فى « ستندال » وفى « تين » وفى عبقريته الشخصية شيئا لم يقف عند التنقيب عن الاسباب والاعمال فانه تعلم — من وراء ذلك — حال تركيب العلل والاسباب ، وهو القائل « ان العقل المدرسى الذى يجدى فى المخاصمة الخطابية يجدب حين يريد أن يخضع لقوانين قوة النمو — المخنوقة والمتبدلة — فى الحياة ، والدرس العلمى ينبغى له ألا يقنع بتوضيح هذه القوات المشوشة ، وإنما ينبغى له أن يعمل على اظهار التبدل فيها ، والدوافع والحياة ، ومن هذه الناحية وحدها تصبح آثار بورجيه روايات — لا مناقشات — كل شخص فيها عالم مستقل بذاته — عالم لا قانون — هذه خلاصة قصته « قلب امرأة » — وهى خير ما سطره يراعه ، لا تقف رواياته على التحليل المنطقى فحسب ، وانما هى توليد واحضار وبعث للنفوس .

أما المثالية Idéal العلمية عند بورجيه فقد اختلفت جد الاختلاف عن مثالية « تين » فهو لا يجحد المذاهب العلمية ، حتى اذا حاول أن يذود مثلا عن مذاهب سياسية تراه يجرب أن يجعلها قواعد تجريبية ترتكز على أعمال فى المجتمع وأعمال فى التاريخ ولكنه — فى عالم الايمان — نراه أخذ يتحرى عن شجرة غير شجرة العلم ، وعنه يقول النقادة « جول لميتر » : ان رجل اليوم هو عقلية مزيجة من العقل العلمى ، والشعور الرقيق الكئيب ، والقلق الخلق ، والرقة والعطف ، والتصوف . الروح العلمية — عنده — لم تجنح إلى عمارة الدين والاخلاق ، ولكنها تركتهما قليلا قليلا يعملان على فرض قواعد الحياة ، وقبل أن يغدو بورجيه رسول دين وسياسة تحول عن حلقة العلم الضيقة .

وهو القائل : إن انسان الرغبة والأنانية ، الذى لا يحيا إلا ليحلل نفسه ، ولو كان من جراء ذلك تعاسة الآخرين ، هذا الانسان قد مات بنفسه ، وهو القائل : « بألا حياة حقيقية إلا فى مثل أعلى للاخلاص والتزهد ، مثل أعلى فى الدين ، إذ لا تمكن الحياة مطلقة تحت رحمة الأهواء وتقلباتها المستمرة .

هنالك فئة من الأدباء حاربت أدب الديموقراطية والاشتراكية حربا عنيفة . ولقد عالج بورجيه فى روايته « التلميذ » المذهب

المادى ، وتطرق إلى قواعد تين وبرتلووريبو . والقصة ترى أن المذهب المادى خطأ . ولا يمكن فى كل الأطوار البرهنة على أنه مذهب حق . على أنه إذا كان حقا فلا يمكن نشر ذلك والجهر به ، إذ أن هذا التعليم يمكن أن يخلق تلاميذ كهذا « التلميذ » يرتكب جرائم خلقية ثابتة ، يكون المعلم فيها هو الضامن الكفيل . فرجل الآداب والمفكر لا يحق لهما أن يكتبا كل شىء ، ولكن واجبهما أن يكونا نافعين . وهكذا تعلم قصص بورجيه أن الفرد ورضا الفرد وإرجاع العدل إلى الفرد كلمات فارغة . إذ يرى أن المجتمعات هى أعضاء منظمة مرتبة ، ملاجئها الحية هى الأسرة ، فكل مايضر ببقاء الأسرة وخصبها وتنظيمها يفنيها كما هو الحال فى الجرائم التى تودى بالكائن الحى . ومنها الطلاق والانهماك فى الفسق والزنا ، وهجر الأولاد قبل البلوغ . والمجتمعات حالها كحال الأعضاء، فى استطاعتها أن تتحرك ولكنها لا تستطيع ذلك إلا ببطء ، وكل تبديل فجائى يجر معه المرض والموت . وهذه الأخيلة الباطلة التى تبشر بها المساواة والديموقراطية تؤول إلى هذه التغييرات والفساد ، فان الطبقات الاجتماعية لا تجوز ، مرحلتها ، إلا على مهل ، خارجة من الحياة العاملة إلى اكتساب الثقافة العقلية ، وحسن استعمال الثروة ومعنى السلطة . ومن أجل هذا ينبغى إجلال ، سياسة محافظة ارستقراطية ، وديانة توحى إلى الانسان احترام الأسرة واحترام نظامها . وهكذا تبدل بورجيه فى نهاية أيامه ، وأصبح رجل وعظ فى السياسة والدين .

فشل العلم

نقد الفلاسفة

كان لبورجيه كما كان لبرتلو وتين وغيرهما ، إيمان لا يتزعزع بالعلم ... والعلم وحده لا يكذب أصحابه ، وهو ينطوى على أسمى الآمال ، ولكن بورجيه لم يكن وحده حين هجر نبوءته ، وهجر الآمال الخادعة التى يذيعها فان الفلاسفة قبله قالوا : ليس للعلم مستقبل فيما وراء الطبيعة ، إذ أنه لا يقدر أن يعطى إلا يقيناً علمياً عملياً اصطلاحياً ، ولا يقدر أن يعطى اليقين ذاته . وقد قال « اميل بوتروس » فى إحدى مقالاته المنطقية : « إن المذاهب العلمية لا تأتينا واضحة إلا الآن مقاييسنا غير واضحة . ولا توضح الحوادث إلا بحوادث اصطلاحية قد لا تكون صميم الأشياء ولكنها — صك تحكيم — بين العقل والأشياء ، على أن هنالك عدداً من الفلاسفة الذين درسوا العلم وقالوا بأنه لا يعطى الحقيقة المطلقة . وهذا « هاملان » دون أن يجحد تأثير العقل قال : بأنه لا يستطيع أن يفهم الحقيقة العميقة إلا إذا أولها وفسرها . وأخيرا جاءت فلسفة هنرى برجسون جاحدة بالفلاسفة والعلم الذى آمن به « تين وبرتلو » من قبل

هنرى برجسون

نقد العقل Henri Bergson

ولد سنة ١٨٥٩ وأشهر تصانيفه « معلومات الشعور المباشرة ، مادة وذاكرة ، والقوة المبدعة » ، ويذهب برجسون فى « كتابه الأول إلى القول بأن الشعور المنطلق عن العقل . الشعور الفطرى فيه لا يتلاءم أبداً مع ما استخرجه العلماء من العقل المتحول المتبدل ـ كما أرادوه وسهلوه ـ . فالعلماء هم فى حاجة إلى قياس الفضاء وهو سهل عندهم ، وإلى قياس الزمان وهذا أقل سهولة . لأن قياس الزمان معناه الافتراض بأن الزمان تتألف أجزاؤه من طبيعة واحدة Homagéne وأن اللحظات المتتالية على حادث قد تكون من بعض وجوه متشابهة متطابقة ، تطابق طول متر مع طول متر آخر . ولكن هذا ماهو الافتراض ، إذ حين تتأمل نرى أن زمان هؤلاء العلماء هو زمان مجرد أو هو التجريد . أما الذى يوجد فهو الدوام ، والشىء الذى يدوم يختلف ـ فى لحظة ملحوظة ـ عما كان عليه قبل اللحظة السابقة ، ولهذا ينطوى هذا الشىء على شىء هو « دوامه » . فالدوام هو متألف من أجزاء مختلفة طبيعتها . تختلف عن ذاتها بدون نهاية ولكى ننكر صفة « الدوام » التى قال بها « زينون » ، ولم ينكرها عليه أحد ، نرى أن الشىء يمكن أن يكون ساكناً ومتحركا فى وقت واحد ، وأن « أشيل » العادى وراء سلحفاة لا يستطيع ـ عقلياً ـ إدراكها . وهكذا نرى العلم المبنى على الاصطلاح لا يمكن أن يكون إلا اصطلاحياً

وقد أتم برجسون فى كتابه « مادة وذاكرة » برهانه هذا ، فالانسان ـ بوهم عميق الجذور فيه ـ آمن بأن عقله يبسط له

الحقيقة، إن عين الحيوانات ليست موضوعة لتعرف أصحابها بحقائق الأشياء، وإنما وظيفتها وظيفة عملية تهدى أصحابها إلى الانتظام بين الأشياء. فلو عاشت هذه الحيوانات على غير الأرض لاختفت لأنها تصبح عديمة النفع. وكذلك لكى نستطيع أن نحيا بين الحوادث، قادرين على استخدامها على وجهها الأحسن المستطاع، نجد هذا لا يطلب إلينا أن نعرفها بحقيقتها كما هى. وإنما يطلب إلينا أن نختار - بصورة عملية - الوجه الأحسن استعمالا وفائدة لنا، لأن عقلنا لا يلمح إلا هذه الناحية العملية. إذ ليس هنالك عقل أو عقل شاعر الاحيث يمكننا أن نمسك جزءاً من الشيء الذى نفكر فيه. والعقل والفكر الشاعر ليسا بوسيلتين للمعرفة وإنما هما وسيلتان للعمل. والعلم الذى أوجداه وشيدا أركانه ماهو إلا نظام جديد لوسائل العمل. وفن مستقيم لاستخدام الحقيقة فى سبيل حاجاتنا. فهو لا يعلمنا الحقيقة ولا يكشف لنا أسرار الوجود كما هو الحال فى أن الأرنب لا يكشف لنا طبيعة السرعة والخفة.

نقد العلماء

وأما العلماء أنفسهم فقد قلبوا وجوه العلم ودققوا مسائله. فانتهوا إلى القول بأن العلم إنما هو مذهب ووسيلة إلى استخدام الأشياء، والعلم لن يصل أبداً إلى «المطلق»، وقد عملت بعض مدارس الطبيعيين على رد علوم الطبيعة إلى مذهب رياضى صرف غايته الأرقام التى تأتى نتائجها صحيحة، وخلاصة هذا النقد توجز فى أبحاث الرياضى الكبير «هنرى بوانكاريه»، فهو فى كل ما كتبه أعطى الأدلة القاطعة على بيان فضل العلم، ودافع عن نفسه بأنه رجل شاك. وهو يرى أن التمحيص العلمى ليس عملا عبثاً. بل إنه عمل أقل عبثاً من غيره من أعمال الانسان. وهو فى الغالب يكون مذهباً مطلقاً. وكل العلوم - مثلا - هى علوم الحركة، على أن من المحال أن نثبت حركة مطلقة، وأن نبرهن - بقياس منطق - على حركة الأرض

وهكذا نجد الفلاسفة والعلماء ينضم بعضهم إلى بعض للاتفاق على هذه الخلاصة، وهى أن هنالك حقيقة مركبة متحركة بدون انتهاء، وعقلا عمل - من أجل ادراكها واستخدامها - على فرض بساطتها واتحاد فكرتها وقوانينها ولكنه بعمله هذا غير الثوب وأفسد الحقيقة.

الفلسفة الشاكة والنقد الشاك!

رينان فى عهده الأخير

جمع رينان عام ١٨٩٠ كتابه «مستقبل العلم» وأنجز تاريخه فى أصل المسيحية. وقد كان ذلك المعلم الذى يعلم «بألا تقبل الحقيقة فى التاريخ الانسانى والعلوم أيضا إلا ماشهد العقل عليه مرفوقا بالأعمال على أنه حقيقة» أما آثاره الأخيرة فقد جاءت تعلمه بأن ليس فى القدرة التثبت من أية حقيقة. وأن هذا العجز قد يكون ضروريا فى بعض الأحيان. إن محاوراته الفلسفية تعلمنا أن الحقائق المطلقة، الحقائق الفلسفية، لا يمكنها أن تكون هدف البراهين! وقد يكون هذا خيراً، إذ من يعلم أن الحقيقة ليست بدافعة إلى الحزن؟ من يعلم أن الأخطاء والأوهام ليست بنافعة أو ضرورية؟ لقد كان الشعب حيوانا ضارياً مولعا بالاعتقادات الباطلة، فذللت صرامته ومشادته باعتقادات باطلة مثلها. ماعسى يغدو الانسان إذا أصبح واقعيا؟ إنه يصبح سيداً صارما احمق! من يعلم بأن حكمة سليمان لم تكن على حق، تلك الحكمة القائلة: «كل شيء باطل، باطل الأباطيل، وكل شيء باطل تحت الشمس». وإذا لم يكن كل شيء باطلا فان الفلسفة الحقيقية قد تكون فلسفة الصراصير والقبرات التى لم تشك أبداً فى أن نور الشمس ليس جميلا، وأن الحياة ليست هبة سنية، والأرض ليست معقلا حسناً للأحياء. إن خير ما نصنعه على هذه الأرض هو ألا نستغرق فى تعليل الأشياء والتحقيق فيها، وإنما نعمل على محبتها، فان سر الحياة لا يقف على العلم ولكن على الحب. وبهذا عمل رينان على تهذيب شكه وتشذيبه، وشهد على أن أكثر الأشياء ضمانا وجداً، مهما ذهب الظن، هو العلم. وهنالك فئة كبيرة ذهلت من شك رينان الذى غمرها، وكان ذلك لعمر قصير، ولكن عادت هذه الفئة إلى التأثر بمؤثرات جديدة أخرى

النقد المنفعل Impressionisme

«جول لميتر» J. Lemaitre ١٨٥٣ - ١٩١٤

إن رينان قد أكمل دورة العلم قبل أن يناقشه ويحاكمه. وجول لميتر لم يذهب إلى أبعد من ذلك. إنه أكمل دورة النقد

وحده . وقد لقى فى المنابر والنوادى والصحف الكبيرة نقداً له فذهب من مزاعمه أنه يهذب الرأى باسم الذوق السليم والعقل . فسانت بوف - برغم عبقريته - لم يترك فى النقد مدرسته ، وتين لم يأخذ عنه النقد إلا دساتيره ، وقد ألفى جول ليمتر أن هذا النقد عمله أن يحكم على بودلير وفلوبير وفرلين وهنرى بيك وسواهم . ووجد فيه ما يبعث على السأم فشهد على أنه نقد فيه غش ومداهنة لأنه مبنى على أصول ومذاهب . ولكى يتم اليقين بهذه المذاهب ينبغى أن تبدل بمذاهب غيرها . وغيرها أيضا إلى مالا انتهاء . لأن هذه المذاهب ما بين جيل وجيل إما أن ينقض بعضها بعضا ، وإما أن تتلاشى . إذ ليس هنالك فى الحقيقة إلا ارتياح أوضجر ، إلا انفعالات وتأثير . وقال أنا طول فرانس فى كتابه « الحياة الأدبية » : الحقيقة هى مالا تخرج عن نفسها أبدا وفى هذا أكبر بلائنا . فلنتحمل إذن بخلوص نية هذا البلاء ، ولا نصدر أحكامنا على الآثار ، ولنصدر انفعالاتنا !

لقد كان جول ليمتر صادقا ولكنه كان أقل اهتداء مما راح يزعم ، فلقد انتمى فى أواخر أيامه إلى مذاهب سياسية ، وكان زعيم الحزب الوطنى ، وهو - فى فترات راحته - لا تشعر منه بذلك الرجل الذى يتحدث للتحدث وحده ، ولكن تحس ذلك القاضى الذى يحكم ويدين . على أنه يبقى رجلا عالمياً ببعض آثاره العالية ، ومذهبه الانفعالى قد ترك له مجال الخوض واسعاً . فهو يستطيع أن يخوض حقولا مختلفة فى الأدب والفن لا يصرفه عن ذلك شىء ، وقد عمل على تجديد الأدب القديم وكانت له فيه محاولات لاستنقاذه من قيود الفصاحة التقليدية المدرسية لكى يندمج مع الحياة الراهنة . وإذا كان النقد الانفعالى لم يجعل همه التحقيق والاقناع فهمه إذن أن يسر ، وهكذا أراد جول ليمتر أن يسر ! ولقد كان هذا الناقد ممن أوتى روحاً وخفة وفناً متزناً مستقيما ، فكان تأثيره عظيما وأعظم آثاره « المعاصرون » .

* * *

ريمى دى كورمون Remy de Gourmont ١٨٥٨ - ١٩١٥

لا يمكن الخوض كثيراً فى الحديث عن « ريمى دى كورمون » فلقد كان له قراء أمناء ، لكن عددهم قليل . إذ كان يمقت الفوز والجماعات والمجد المدرسى ، على أنه كان معلماً ، معلم صفوة مختارة من القراء ، اتبعت تعاليمه ومذاهبه . وكانت تجد فيها فكرة رائعة متنوعة ، لا تقف على الأدب وحده ، لقد كان يفتش فى الآداب خاصة عن ترجمة صادقة للحياة ، وكان يرى أن ليس فى الامكان تفهم الحياة بغير العلماء والفلاسفة ، ولذا تناول فى بحوثه شخصيات مختلفة ، أرباب علم وأدب وطبيعة وطب وأرض واجتماع ، وتحدث عنها كما يتحدث عن شعراء وروائيين ، ولكنه لم يحمل فى كل هذا علم اليقين . إذ لا يقين - عنده - فى العقل الذى لم يبلغ إلا ذرة من الحقائق الظاهرة ! إلا ذرة واحدة ! ولا فى القلب الذى لا يمثل لنا إلا فصولا مختلفة ، لاهم له منها إلا إلقاء السدول على العقل ، ولا فى نظريات « ما وراء الطبيعة » ولا فى الأديان التى تطفح بعوامل التعصب . ! نراه يجنح إلى الشك . لا شك التشاؤم : هنالك فلسفة السعادة ... ينبغى أن تحيا سعيداً ! وأن تكون فوق كل شىء وأن تحتقر كل شىء وأن تحب كل شىء ، وأن تدرك بأنه لا يوجد شىء ، وإن هذا اللاشىء فى الامكان أن يكون كل شىء ، والحياة بعد هذا كله - مشهد ، يكفر ما فيها من اللذة عما فيها من عناء وشقاء ، وأن فى الجهود المصروفة إلى تعرفها وتفهمها معنى قد يرفع العقل إلى ما فوق حدود الفناء .

وقد وضع فى حياته الأدبية سلسلة أفكار قيمة ، وقد ظل يؤمن بأن هنالك كتابا صعاليك وهم من يدعون « بالمدرسين » ، وكتابا لبقين دأبهم أن يتحروا عن الأساليب الجديدة والتعابير الحية فى الفن ، وقد حارب بشدة فى سبيل المدرسة الرمزية وناوأ خصومها أشد مناوأة ؟

خليل هنداوى

شخصية الزهاوى

بمناسبة مرور عام على وفاته

بقلم السيد احمد المغربى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

الزهاوى والمرأة

الحديث عن المرأة ، مهما اختلفت نواحيه وتباينت مناحيه حديث لذيذ يسترعى الأسماع ، ويستلفت الأنظار ، ويستهوى الأفئدة ، وهو حديث ، لا نكون بعيدين عن الصواب اذا ما قرنا بأنه يلذ للمرأة أكثر مما يلذ للرجل ، ولا سيما اذا كان صادراً عن الرجل نفسه ، فهى تتلهف شوقاً إلى الاطلاع على ما يضمره لها فؤاده وما يكنه ضميره ، وهى تبذل ما ملكت يمينها وما لا تملكه يمينها لاستماع حديثه عنها ، سواء أكان هذا الحديث مدحاً أم قدحاً ، ثناء أم ذماً ؛ بل ربما كانت إلى استماع حديث الذم والقدح أشد شوقاً وأقوى رغبة منها إلى حديث الثناء والمدح !

ذلك لأن المرأة كانت ولا تزال ، وستبقى ما بقيت المرأة ، سراً غامضاً كلما خيّل للرجل أنه توصل إلى سبر غوره ، واجتلاء حقيقته ، أسلمه هذا السر إلى سر آخر ، وهكذا حتى يقف مكتوف اليدين ، مطأطىء الرأس معترفاً بعجزه مقراً بضعفه .

من أجل هذا كان التضارب بين آراء الفلاسفة ، والأدباء والشعراء ، كل يصفها كما عرفها بنفسه ؛ ففريق يقول بأنها ملاك تذيع السلام وتنشر الوئام ، وفريق آخر يقول بأنها شيطان تسبب الأحزان والأسقام ، وتثير الأضغان والخصام ، فينهض الفريق الثالث ، فيعارض الاثنين بقوله ، إنها بين بين ! .

ولقد كان فقيدنا الكبير يعتقد بسمو منزلة المرأة ويؤمن باخلاصها إخلاصا تاماً يحملك على الايمان بالسعادة الزوجية التى كانت تهيمن فى جو بيته ، حتى انه ليؤثر أن يبقى بدون ذرية على أن يجرح عاطفة زوجه بالبناء على غيرها .

والمرأة فى اعتقاده ، لا تقل عن الرجل ذكاء وفهماً وإدراكا ، فهي أهل للحفاوة والتكريم ، جديرة بالاحترام والتعظيم .

وهى تجلو بابتسامها الحلو وحديثها العذب ، الكآبة والملل عن نفس الرجل ، وتخفف عنه آلام الحياة ومتاعبها ، وتبث فيه روح الجرأة والاقدام ، فيقتحم فى سبيلها الأهوال ، ويستقبل الارزاء بوجه باسم ونفس مطمئنة .

ويمثل لك الزهاوى مدى وفاء المرأة فى فتاة شاهدها بين أهل الجحيم قد اخضلت عيناها من شدة الأسى ولوعة الجفاء ومرارة النوى ، بشعر هو السحر الحلال : —

قلت ماذا يبكى الجميلة قالت أنا لا يبكينى اللظى والسعير
انما يبكينى فراق حبيبى وفراق الحبيب خطب كبير
هو عنى ناء كما أنا عنه فكلانا عمن أحبّ شطير
فرقوا بيننا فما أن أرى اليو م سميراً ولا يرانى سمير
ولو أنا كنا جميعاً لخف الخطـ ـب فى قربه وهان العسير
لا ابالى ناراً وعندى حبيبى كل خطب دون الفراق يسير

ولقد وقف الزهاوى حياته على الدفاع عن حقوق المرأة المشروعة والذود عن كرامتها الضائعة ، وكانُ يقصد من مناصرته المرأة ، المرأة المسلمة ، فصور لنا ما تلاقيه من ضروب الذل والهوان ، فى بيت أهلها الذى وصفه بالسجن والقبر محرومة من رؤية النور ، وبين لنا ما للحجاب من مساوىء فادحة وأضرار بالغة حالت دون تقدم الشرق العربى ودعا إلى السفور حتى يتاح للمرأة أن تعاضدَ الرجل فى تحقيق الأمانى والآمال التى تختلج فى نفسه .

قال هل فى السفور نفع يُرَجّى قلتُ خير من الحجاب السفورُ
انما فى الحجاب شلٌ لشعب وخفاء وفى السفور ظهور
كيف يسمو إلى الحضارة شعب منه نِصفٌ عن نصفهِ مستور
ليس يأتى شعب جلائل ما لم تتقدم إناثه والذكور

* * *

قد عزوتم إلى السفور غروراً طائشاً قد يفضى إلى الهفوات
هل يحول الحجاب بين التى لم تتثقف والطيش فى الرغبات
بل أرى فى الحجاب تسهيل ماتخـ ـشونه من نُكرٍ على الفتيات

وقد تحمل الزهاوى ، فى سبيل المرأة الأذى والهوان ، وعرض حياته لخطر الاغتيال ، وذلك أن قصائده أثارت عاصفة

من الاستياء الشديد فى العالم الاسلامى ، فهاج الناس لها فى بغداد واتهموه بتحامله على الشريعة الاسلامية الغراء وطلبوا من والى بغداد ، ناظم باشا فى عام ١٣٢٦ ﻫ أن يقيله من منصبه ، وازدادت نقمة الناس عليه حتى اضطر الى ملازمة داره . . .

الزهاوى الوطنى

لئن عُدَّ احمد شوقى شاعر الإسلام فإن الزهاوى كان ، بلا جدال ، شاعر العرب . فهو ينزع فى شعره نزعة عربية ، فيفتخر ببنى قومه العرب ويتغنى بذكرهم ، ويشيد بمحاسنهم

وهو يدعو إلى نبذ التعصب الدينى فهو مدعاة إلى التفرقة ، والتفرقة تستتبع الضعف ، وهذا العصرُ هو عصرُ القوة ، هو عصرُ التنازعِ على البقاء ؛ الضعيفُ فيه مقضىٌّ عليه بالموت

أصلُ العروبةِ قد رسا ... كالطودِ فى البلد الحرام
والفرعُ منها فى العرا ... قِ ومصرَ يسمو والشآم
بغدادُ منذ تأسستْ ... عُرِفَتْ بعاصمة السلام
عاش النصارى واليهو ... دُ ومسلموها فى وئام
فى وَحْدَةٍ عربيةٍ ... ليست تُهَدَّدُ بانفصام
تبنى سعادتها الشعو ... بُ على اتحاد وانضمام
لا خيرَ فى شعب يعيش من التعاسةِ فى انقسام

* * *

كونوا جميعاً سادةً لنفوسكم ... فالعصرُ هذا سيدُ الأعصارِ
أما تهاونكم فيجرح أمرُهُ ... فى القبرِ عزةَ يعربٍ ونزارِ
ليس الحياةُ سوى نزاعٍ دائمٍ ... يا للضعيفِ به من الجبارِ
الفوزُ للجَلْدِ الجرىء فؤادُهُ ... والويلُ كل الويلِ للخوّارِ

ولقد رافق الزهاوى سيرَ القضيةِ العربية فى جميع أدوارها وجاهد فى سبيلها جهاد الأبطالِ البواسل ، وكان فى هذا الجهادِ يحذرُ العربَ من عاقبةِ التهاون والتكاسل ، ويبث فى نفوسهم روحَ الجرأةِ والإقدام ، ليعيدوا مجدَ أجدادِهم شمِ الأنوف ، أباةِ الضيم : —

والدهر للرجل القوى ... على صلابته ظهيرُ
والدهر يخذل من ينى ... والدهر يصفع من يخورُ

* * *

إن هدَّمَ العزبىحوضَ حدوده ... سخطت عليه يعربٌ ونزارُ
لا يرفع الوطنَ العزيز سوى امرىء ... حرٍ على الوطن العزيز يغارُ

* * *

لقد صح أن الضعف ذل لأهله ... وأن على الأرض القوىَّ المسيطرُ
وأن اقتحامَ الهولِ أقصر مسلكٍ ... إلى المجدِ إلا أنه متوعرُ

* * *

يا قوم إن أذعنتم ... للذل أغضبتم نزارا
أنتم أحق الناس إن ... ترعوا لأنفسكم ذمارا
هل تقبلون لنفسكم ... عاراً وللأعقاب عارا

والاستقلال ، فى نظر الزهاوى ، يؤخذ بالقوة ، ولا يعطى .. فعلى العرب ، إذن ، أن يريقوا دماءهم الزكية ويتقدموا للموت بقلوب لا تهاب الموت ، أما اعتمادهم على الوعود والعهود فلن يحقق لهم استقلالهم المنشود !

ذكت دماء لأجل الحق سائبة ... فإنها وحدها للمجد أثمان
وكل شعب على الأوعاد معتمد ... لحظه فى عراك الدهر خذلان
إن لم تكن قوة للمرء بالغة ... فكل حق به قد لاذ بُطْلانُ

وهو يدعو الأمة العربية إلى خدمة العلم ، إلى رمز الحرية والاستقلال ، فهو السياج الوحيد الذى يدرأ عنها الأخطار

وعلى الجند إنه ... كسياج يقى الحرم
وبه يُستقلُ بالرغم من عصبة الأمم
لا يجوسُ العدوُ مملكةً جيشها انتظم

نم قرير العين ، ياجميل ، فان فى بلادك نفوساً أبية ، وأنوفاً شماء ، تكره الذل وتأبى الاضطهاد !.

نم هادىء البال ، ياجميل ، فان الشباب ، يتقد حماساً ، وانه فى حماسه ليغلى ، ليثور ثورة البراكين . . . انظره . . . ها هو ذا قد أجاب داعى الوطن . اسمعه . ها هو ذا قد أصاخ لصوت الله . ان المدرسة ومتاعب المدرسة لم تثنه عن خدمة علمه المفدى . أتعلم أين هم الآن . انهم يتدربون . انهم يحملون البنادق .

نم قرير العين ، ياجميل ، فان فى البلاد مليكا ، هو رمز الشباب وأمل الشباب ، إنه غازى ، غازى القلوب ، ابن فيصل ، ابن الحسين ! .

أحمد المغربى

الزهاوى

للاستاذ أكرم زعيتر

كنت فى عداد الذين احتشدوا لتأبين الكاظمى الشاعر فى بغداد وأرهفوا آذانهم يستمعون إلى الزهاوى الشاعر المتفجع المتوجع.

جاء الزهاوى يومئذ يتوكأ على عصاه فى جسم متهدم يصارع العلل ويناجز الأدواء، وصعد إلى مرزح الخطابة وجلس على كرسى ووقف خلفه شابان حرصا حين شرع يلقى قصيدته على أن يمسكا بذراعيه إمساك الشفيق الذى يحذر أن تجمح العاطفة بالشاعر فيثور وينهض من مقعده وهو لا يقوى على الوقوف فيصيب الجسم الذى ترادفت عليه الأسقام أذى شديد

راح الزهاوى يلقى قصيدته بصوته المتهدج، ونغمته التى انفرد بها، واضطرابه الجسمانى حتى وصل إلى قوله:

الكاظمى قد اعتنى ببلاده وبلاده بحياته لم تعتن

فنهض، وهاج، وتلظى قلبه الفتى يوشك أن يودى بجسمه المتهدم لولا حذر الشابين، ثم أنهى الزهاوى نشيده:

يا بلبل الشعراء مالك صامتا من بعد تغريد بشعرك مشجن
قد سرت قبلى للردى متعجلا ولعلنى بك لاحق ولعلنى!

وردد الشطر الأخير نشيجاً مؤثراً: ولعلنى بك لاحق ولعلنى! التفت إلى صديق يجلس بجانبى فاذا بد معه يترقرق وقلت: أرأيت يا صديق؟ إن الزهاوى يرثى نفسه فى قصيدته، إن هواجسه تنم عن دنو أجله!! قال: صدقت ولكن شعره اليوم فيه فتوة وفيه حياة! قلت: إنها خفقة الذبالة الأخيرة كمنذر بانطفاء السراج؛ إننى مزمع على مغادرة بغداد قريبا وأحس برغبة ملحة تهيب بى إلى زيارته غداً زيرة الوداع الذى لا لقاء بعده. فماذا تقول؟ قال: ذلك ما أبغى

وانطلقنا فى اليوم التالى إلى بيت الشاعر، ودخلنا عليه فاذا به جالس على فراشه يتكىء على وسادتين، فرحب بنا وسر بزيارتنا؛ وكان أول ما حادثنا سألنا عن وقع قصيدته فى رثاء الكاظمى، فأعربت له عن أثرها فينا وقلت: إننى عائد إلى فلسطين وأود أن أدون فى مفكرتى ما يدور فى هذه الزيارة من حديث! قال الزهاوى: حسن وهل اطلعت على « الأوشال »؟ كنت أظن أن عظمى رق وأن زمنى لن يمتد بى كثيراً فسميت مجموعة قصائدى « الأوشال »، ولكننى نظمت بعدئذ بعض القصائد وهى آخر ما أنظم، وجمعتها فى ديوان صغير سميته « الثمالة »، والثمالة آخر ما أنظم فى هذه الدنيا التى أرانى تاركها قريبا. قلت: وهل غير الثمالة للأستاذ شعر لم يطبع؟ قال: أجل إنه ديوان فى ... وأحسب أنه لن ينشر فى القرن العشرين؟ قلت وما عمر الأستاذ؟ قال: أنا فى السنة الثانية والسبعين بالحساب الشمسى وفوق الأربعة والسبعين بالحساب القمرى!

وهنا أحس الشاعر بالألم وأخذ يئن، فوجمنا، ولكنه قطع وجومنا بقوله: لكل جريح أنة، وصمت قليلا ثم قال: نظمت قصيدة لتتلى فى تكريم الدكتور حسين هيكل لمناسبة تأليفه « حياة محمد »، ونادى خادمه فناوله كيساً انتزع منه القصيدة وتلاها علينا ثم استأنف الحديث: وطالما كنت أنشر قصائدى فى السياسة الأسبوعية وحدثنى طالب أن مئات النسخ من السياسة كانت تباع فى دار العلوم بمصر حين تنشر لى فيها قصيدة؛ وطالما احتدم الجدل وتعارك الطلاب (وتباسطوا) بسبب انقسامهم إلى فئتين: واحدة تؤثر شوقى على، والأخرى تؤثرنى على شوقى! قلت:

وتطرق الزهاوى فى حديثه إلى بعض أدباء بغداد الذين يحاولون انتقاصه فندد بهم وحمل عليهم حملة شعواء، ثم تحدث عن صفات الشاعر التى هى فى نظره استعداد ذاتى ومادة تتألف من ثقافة ولغة ثم طول ممارسة. وسألته عن خير قصائده فقال: أكو (يوجد) أكثر من أربعين قصيدة كلها (زينات): خذ مثلا قصيدتى « هواى »، ومطلعها: أذكرى إذ كنا صغيرين نلعب! وخذ قصيدتى فى الغروب وقصيدتى فى الطلوع إنهما عصريتان جديدتان، أما التصوير المؤثر الجميل ففى قصيدتى: ومتى تخر أم لا؟ ومطلعها:

يا ابنة الهم إن غرفتك القلـــب فلا تخرجى إلى الأبواب

إن هذه القصيدة بديعة، بديعة!

وحدثنا عن رأيه فى بعض الشعراء، فإيليا ابو ماضى يحلق أحياناً فى السماء عالياً ويهبط أخرى، أما أحمد محرم فيمتاز شعره بجزالته ولكنه مشوب بالتقليد، وأما الصافى فحبذا لو اتسع

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسى ألفونس كار

— ٤ —

بين القهوة والشاى

خطر يوماً لزهرة البن أن تجتاز الجبال والبحار من سهول الحجاز إلى الصين لتزور أختها زهرة الشاى ، فاستقبلت هذه زائرتها بكل ترحاب إلا أنها كانت مغرورة بنفسها تتكلف الود تكلفاً ككل مخلوق لا يعترف بفضل أحد

وكانت ابنة الصين تباهى بحضارة بلادها القديمة وتحسب ابنة الحجاز حديثة نعمة خرجت من قفار لامدنية فيها ولا مجد

وما كانت ابنة العرب لتخدع بغرور صديقتها فثارت العزة العربية فى نفسها فقالت لزهرة الشاى : — أراك مغترة بنفسك يا ابنة الصين ، وما أنا ممن يتقلد المنة من أحد . جئتك زائرة لا مستجدية فلست أعرق منى نسباً ولا أرفع حسباً

وهزت زهرة الشاى رأسها باحتقار وقالت : — إن حسبى عريق يتصل بمن أسسوا مملكة الصين منذ ستين قرناً

— وما تقصدين بهذا ؟

— أقصد تذكيرك بما يجب عليك من احترامى

وكانت الزهرتان تتحدثان وهما جالستان إلى مائدة صفت عليها أوانى القهوة والشاى ، وكل زهرة تتناول من خلاصتها لتنبه قواها ؛ فقالت زهرة البن : — أنت كريهة الطعم ، ولو لم تكونى كذلك لما هجرك الصينيون لاجئين إلى الأفيون ، فما أنت بالمخدر يفتح أبواب الأحلام الجميلة

فانتفضت زهرة الشاى وقالت : — لقد غزوت الشعب الذى تغلب على الصين فأنا سيدة بلاد الانكليز

— وأنا أسود بلاد الفرنسيس

— لقد أنزلت الوحى على ولتر سكوت وبيرون

— وأنا بعد أن ألهمت وطنى أروع الافكار ألهمت موليير وفولتير

— أنت سم بطىء قتال

— أنا دواء للهضم

وساد السكوت لحظة ، فقالت زهرة الشاى : — انك لتسمعين من غليان مائى ما يشبه حفيف أجنحة الأرواح ، وما ضفائر الفاتنات بأجمل من أوراقى . أنا شعر الشمال يتدفق حزناً وحناناً

فقالت زهرة البن : — لى سمرة بنات الصحراء ، ولى لفتات عيونهن السوداء ، فأنا أخترق الأعصاب باللهب الخفى . أنا سحر الشرق وأنا غرامه

— أنت تحرقين ، أما أنا فأستنزل العزاء على قلوب الموجعين

— أنا أعطى القوة ، أما أنت فتنزلين الضعف بالجسوم

فقالت زهرة الشاى : — لى القلب

فقالت زهرة البن : — أما أنا فلى الرأس

واحتدم الجدال بينهما دون أن تذعن إحداهن للأخرى ، فقررت الزهرتان أخيراً أن تلجآ إلى مجلس محكمين يؤلفه شاربو القهوة وشاربو الشاى

قدمت القضية لهذا المجلس ومرت الأجيال والخلاف قائم بين أعضائه وهو لم يصدر حكمه حتى اليوم

(ف . ف)

اطلاعه اللغوى وارتقت ثقافته . قلت له : وفى العراق ؟ قال : الرصافى ماضيه خير من حاضره بكثير ، بكثير ؛ والشيخ رضا الشبيبى قل أن يحلق ، والجواهرى عربيته ضعيفة ، ولقد لازمنى سنتين أو ثلاثا وكان فى أثنائها . . . سامحه الله ! ولكن أملا قد يعقد على حسين الظريفى وابن أخى ابراهيم الزهاوى

وسألته عن قصيدته فى رثاء الكاظمى فقال : تقرؤها فى (الرسالة) ثم تحدث عن صاحبها وقال : والزيات هو الكاتب الذى تقرأ أخلاقه فيما يكتب

ودار الحديث حول المجمع الملكى اللغوى الذى تأسس فى مصر فأبدى تشاؤمه منه : وقال إنه لن يدوم اكثر من سنوات لجموده !

وحدثنا عن المرحوم الملك فيصل واعجابه بشعر الزهاوى ومما قال : ورأى فيصل رسمى وأنا نائم فاعجب به وأمر بتكبيره ، فنظمت بيتين كتبا تحت الرسم ، وأنشدهما الزهاوى ، واذكر أن شطرهما الأخير هو : ولكنى عن مدحك لا أنام ، وودعت الزهاوى وأنا موقن أنه الوداع الأخير

(نابلس) اكرم زعيتر

تاريخ العرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

الجاهلية : شعرها ، وعاداتها ، ودياناتها

ترجمة حسن حبشى

ولندع هذه الناحية برهة قصيرة لنلقى نظرة عابرة نلم فيها بمكانة المرأة ونتلمس أثرها فى المجتمع ليرى القارىء كيف كانوا ينظرون إليها فى المجتمع الجاهلى ، وذلك أنهن كن فى مرتبة سامية ذوات أثر ملموس ، يخترن أزواجهن بأنفسهن ، ويرجعن إلى منازلهن الأولى إذا سيئت معاملتهن أو لم يجدن الراحة المنشودة فى حياتهن الجديدة ، وكن فى بعض الأحيان هن اللائى يطلبن الزواج وفى أيديهن العصمة ، وما كن جوارى أو متاعا بل كن مساويات لأزواجهن يلهمن الشاعر القصيد ، ويثرن نخوة المحارب فى القتال ، ويبعثنه على الاستماتة والقوة . ولعل أصل فروسية القرون الوسطى يرجع إلى بلاد العرب الوثنية ، وإن الفروسية وامتطاء متن الصافنات حبا فى المخاطرة وتخليص الأخيذات ، وإغاثة الملهوف والنساء اللواتى أحاقت بهن المصائب ، كل هذه الأمور هى من الطبائع الجوهرية للعربى الصحيح ؛ وإن لفظ « الفروسية » ليشير إلى راكب الحصان ذى الطبع الشريف ، كما أنه لا ينال لقب « فارس » إلا من كانت تجرى فى عروقه دماء النبل [1] ، ولكن نبل النساء لا يظهر أثره من احترام الرجال إياهن وبطولتهم من أجلهن فحسب ، بل تنعكس صوره أيضاً فى الأغانى والأقاصيص وفى التاريخ ؛ من ذلك أن فاطمة بنت الخرشب كانت إحدى ثلاث عرفن بالمنجبات ، وكان لها سبعة أبناء ، ثلاثة منهن يسمون « بالكملة » وهم ربيع وعمارة وأنس . وفى ذات يوم أغار حمل بن بدر الفزارى على بنى عبس وهي القبيلة التى تنمى إليها فاطمة ، ثم أسرها ، ولما أخذ بخطام البعير وابتعد بها عن الحى وأهله صاحت به : « أى رجل ضل حلمك ، والله لئن أخذتنى فصارت هذه الأكمة التى أمامنا بى وبك ـ وراءنا لا يكون بينك وبين بنى زياد [1] صلح أبداً ، لأن الناس يقولون فى هذه الحال ماشاءوا . وحسبك من شر سماعه ، قال : « إنى أذهب بك حتى ترعى إبلى » فلما ايقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير ، فماتت خوف أن يلحق ببنيها عار فيها[2] . ومن بين الأسماء التى غدت مضرب المثل فى الوفاء بين النساء فكيهة وأم جميل ، أما عن فكيهة فيروى أن السليك بن السلكة [3] أغار على بنى عوار (بطن من بطون مالك) فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته فقال شيخ منهم « إذا عدا لم يتعلق به شىء ، فدعوه حتى يرد الماء فإذا شرب ثقل ولم يستطع العدو وظفرتم به » ، فأمهلوه حتى شرب ثم بادروه ، فلما علم أنه مأخوذ جاملهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم وهى فكيهة فاستجار بها فمنعته وجعلته تحت درعها واخترطت السيف وقامت دونه ، فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها فجاءوا ودافعوا [4] عنها حتى نجا من القتل [5] ولولا ضيق المقام لكان من أمتع البحوث أن نسرد تفاصيل أوفى عن القصص التى وردت فى ذكر نبيلات النساء فى الجاهلية ، ولقد صورت شعورهن المرهف بالشرف والوفاء ، ولكن لعلى أكون قد وفقت فى اختيار أمثلة تصور الشرف العريق والذكاء الحاد والعاطفة العنيفة . وكان الكثيرات منهن ينظمن الشعر الذى ينشدنه فى المآتم ويصغنه قلائد فى رثاء موتاهن ، ومن أسطع البراهين على سمو أخلاق المرأة فى الجاهلية ورفعة نفسها أن ترى أم البطل وأخواته يقضين على أنفسهن بملازمة الحزن عليه والاشادة بمحامده .

---

(1) W. Blunt & Lady Anne Blunt : The Seven Golden Odes of Pagan Arabia, P. 14.

(١) هم أبناؤها وكان زوجها من بنى زياد (المترجم)

(٢) الأغانى ج ١٦ ص ٢٢ س ١٠ ـ ١١

(٣) وكان اسود البشرة ولذلك يقال : أغربة العرب ثلاثة عنترة وخفاف بن ندبة والسليك بن السلكة (المترجم)

(4) Freytag : Arabum Proverbia, Vol II, P. 134.
الاغانى ج ١٨ ص ١٢٧ س ٥ ـ ١٩

(٥) ذكر الأغانى بعد هذه القصة أبياتا قالها السليك فى مدحها ، لا نرى بأسا من إيرادها اتماما للفائدة الأدبية :

لعمر أبيك والأنباء تنمى ... لنعم الجار أخت بنى عوارا
من الخفرات لم تفضح أباها ... ولم ترفع لاخوتها شنارا
كأن مجامع الأرداف منها ... نقا درجت عليه الريح هارا
وما عجزت فكيهة يوم قامت ... بنصل السيف واستلبوا الخمارا

وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف (طبعة وستنفلد) ص ٤٤ (جوتنجن ١٨٥٠ م) أن قاتل السليك : أنس بن مدرك الخثعمي (المترجم)

أما مدح العاشق لمحبوبته فكانت له لهجة أخرى ، وذلك أن القصيدة لا تدع ناحية من نواحي المحاسن الجثمانية إلا وتصفها وصفا شاملا ، وقل أن نجد اهتماما أو تقديراً للجمال الخُلُقي ، ولا يشذ عن هذا سوى مطلع قصيدة للشنفرى ، أما سير شارلز ليبل الذي يهم كل مشتغل بالأدب العربي التعرف إلى رأيه لعطفه على الشعر العربي القديم ودقته في نقل صوره ، فيقول عنها « إن هذه القصيدة أمتع صورة ترسم لنا الأنوثة التي خلفتها لنا الوثنية العربية ، وقد رسمتها نفس اليد التي خطت اللامية المنقطعة النظير ، وأدت خلالها المثل الأعلى لقوة الرجولة وصلابة [1] البطولة »

لقدْ أعجَبَتنى لا سَقوطاً قِناعُها
إذا ما مشَتْ ولا بِذاتِ تَلَفُّتِ
تَبيتُ بُعَيْدَ النومِ تهْدِى غَبوقَها
لِجارتِها إذا الهَدِيَّة قَلَّتِ
يَحُلُّ بِمَنْجاةٍ مِنَ اللومِ بَيْتُها
إذا ما بُيُوتٌ بالمَذمةِ حَلَّتِ
أمَيْمَةُ لا يُجزِى نَثاها حَليلَها
إذا ذُكِرَ النِّسْوان عَفَّتْ وَجَلَّتِ
إذا هُوَ أمسى آبَ قُرَّةَ عَيْنِه
مَآبَ السَّعيدِ لمْ يَسَلْ أينَ ظَلَّتِ
فدقتْ وَجلَّتْ واسبكرَّتْ وأُكمِلتْ
فَلَوْجُنَّ إنسانٌ من الحُسنِ جُنَّتِ [2]

وإن مثل هذا الخلق لا يمكن أن ينضج إلا في جو طليق حر بعيد عن التكلف والقيود المعدوم أثرها في الصحراء . وإذا نظرنا إلى هذه الأبيات وما توحيه من المعاني نجد أنها كافية في الرد على أولئك الذين يزعمون أن الاسلام قد رفع منزلة المرأة الاجتماعية ، وإن يكن من بعض الوجوه قد رفع مستواها الأدبي في الحضارة إلى حد عظيم [3] ولكن يوجد بجانب هذا أمر آخر ذلك أنه في بلاد كهذه حيث القوة هي الحق ، وحيث نرى أسلوب الحياة الأولى يجيز للأيد امتلاك ما يريد ، ومن استطاع مقاومته احتفظ بنفسه ، في مثل هذه البلاد كان عجيباً ألا يندثر الجنس الضعيف (النساء)

أما عادة الجاهلية في وأد البنات أحياء فترجع - كما يظهر لنا - إلى المجاعات الجمة التي كثيراً ما تمنى بها بلاد العرب نظراً لقلة سقوط الأمطار ، وكذلك إلى محافظة موهومة على الشرف ، وكان الآباء يضنون أن يطعموا أفواهاً ليس لها من قيمة في الحياة كما كانوا يخشون أن يجلبن لهم العار إذا سُبين في حرب ، ومن ثم كانوا يعدون ولادة الأنثى خطباً كما نتبين ذلك بما ورد في القرآن [1] (ويَجعَلونَ لِلهِ البَناتِ سُبْحانَهُ ولهُمْ ما يشتَهونَ ، وإذا بُشِّرَ أحَدُهُمْ بالأُنثى ظَلَّ وَجهُهُ مُسْوَدًّا وهوَ كظيمٌ . يتوارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ به ، أيُمْسِكُه عَلى هُونٍ أمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ ، ألا ساءَ ما يَحكُمونَ)

ويقال في أمثالهم [2] « تقديم الحرم من النعم » وقولهم « دفن البنات من المكرمات [3] »

(يتبع) حسن حبشي

(١) سورة النمل ١٦ : ٥٧ - ٥٩

(2) Freytag : Arabum Proverbia, Vol I, P. 228.

(٣) شرحه ص ٢٢٩ ج ١

(1) Ancient Arabian Poetry, P. 81

(٢) المفضليات (طبعة ثوربك) ج ١ ص ٣٢

(3) Goldziher : Huh. Studien, Part a, P. 295 399

ذكرى حافظ ابراهيم

للعالم الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

أفى كل حين وقفة إثر ذاهب   وصوغ دم أقضى به حقَّ صاحبِ
أودّع صحبى واحداً بعد واحد   فأفقد قلبى جانباً بعد جانب
تَساقَط نفسى كلّ يوم فبعضها   بجوف الثرى والبعض رهنُ النوائب
فيادهر دع لى من فؤادى بقية   لوصل ودود أو تذكّر غائب
ودع لى من ماء الجفون صُبابة   أجيب بها فى البين صيحة ناعب
وهل صيغ قلبى أو ذخرتُ مدامعى   لغير وفاء أو قضاء لواجب
فقارب أخاك الدهر والعيش مسعف   فسوف ترى بالموت غير مقارب
حياة الفتى بعد الأخلاء زفرة   تَردّدُ ما بين الحشا والترائب
رعى الله فتياناً وفوا حقّ شاعر   وفىّ على مَض الخطوب الحوازب
وفىّ لمصر لم يدنس قريضه   بحمد خؤون أو باطراء كاذب
وفىّ وفاء الرسل بين معاشر   نصيب الحمى منهم وفاء الثعالب
يدورون بالأمداح يبغون مأرباً   فياضيعة الأوطان بين المآرب
فبينا ترى حمداً ترى الذم بعده   يريك فصول العام شعرُ الأكاذب
فدع عنك شعرَ الحمد والذم إننى   نصحت بما قد أقنعتنى تجاربى
وكن أمّة لم تعنَ إلا بأمّة   فنفسك لم تخلق لسخر الألاعب
متى تخلص الاقلام للنيل وحده   فمن شاعر عالى الشعور وكاتب
إذا الشعب بالنواب عزّ مكانه   فشعرك إن تنصفه أبلغ نائب
وهل نائب زكيتموه كنائب   يزكيه صوت الله أعدل ناخب
وشتّان بين اثنين نائب أمة   ونائب إنسانية فى المصاعب
فهذا إلى وقت من الدهر ينقضى   وذاك عن الأجيال آت وذاهب
لقد فقدت مصر بفقدان حافظ   لساناً كوقع المرهفات القواضب
فسل عنه فى الموتى (كرومر) إنه   سقاه بكأس الشعر سمّ العقارب
ألم يرمه فى دنشواى بضربة   سرى وقعها فى شرقها والمغارب
أطار صواب اللورد صاعق هولها   فولى على أعقابه غير آئب
وشد على قصر الدبارة شدة   تبين منها اللورد سوء العواقب
تداعت بها أركانه وتجاوبت   مقاصيره تبكى بكاء النوادب
وكاد يقول القصر للورد: أخلنى   فلو دام هذا القذف لاندكَّ جانبى
ظلمتَ فما ذنبى تعرّض ساحتى   عناداً لليث مرهف الناب غاضب
فلو كان لى فى ساكنى متخيَّر   لأغلقت بابى دون إيواء غاصب
وسل بعده غورست ما فعلت به   بوادر أمضى من نصال المضارب
بوادر صاغتها قريحة شاعر   من اللفظ لم تحفل بحشد الكتائب
تمزق من أعراضهم لا جسومهم   فما القتل ان تغنى بحشو الجلابب
وما قتل الاحرارَ كالهجو إنهم   يرون أليم الطعن طعن المناقب
ولم أر سيفاً كاللسان قرابه   فم وشباه من قواف صوائب
يُرى شعرُه بين الصفوف محاربا   وصاحبه فى الناس غير محارب
وسل مجلس الشورى تجبك من البلى   مواقف صرعى الجاه صرعى المناصب
رآهم لأغراض العميد مطية   وأن لحى الأشياخ لعبة لاعب
فأوتر قوس النقد غير مصانع   وسوّد مبيّض اللحى غير هائب

* * *

فذاك جلال الشعر لا شعر عصبة   يطالعنا تجديدهم بالحواصب
همُ جدَرى الشعر آذوا جماله   بما ألصقوا فى حسنه من معايب
عناوين كالألغاز حيرت النهى   وما تحتها معنى يلذ لطالب
دواوين حسن الطبع موّه قبحها   وهل يخدع النقاد نقش الخرائب
فياضيعة الأوراق فى غير طائل   ويا طول ما تشكو رفوف المكاتب
وكم دافعوا عن مذهب العجز جهدهم   فما غسلوا أسواء تلك المذاهب
وكم ملأوا بالزهر والنهر شعرهم   بلا طيب مستاف ولا ریّ شارب
وكم يذكرون الأيك والطير صدّحا   عليها فلم نسمع سوى صوت ناعب
وكم لهجوا بالشمس حتى تبرمت   بهم وتمنت محوها فى الغياهب
وكم أقلقوا بدر الدجى فى سكونه   وكم أغرقوا سماعهم بالسحائب

وكم هاتف بالخلد منهم وشعره   تُوُفِّيَ سقطا قبل عقد العصائب
وشاك أذاة الحب أطفأ جمره   بشعر كبرد الثلج جم المثالب
فأقسم لو يبغي وصالا بشعره   لجانَبه من لم يكن بمجانب
اذا ما احتفى بعض ببعض فإنهم   نواصب علم تحتفي بنواصب
أكل متاع كاسد عند غيركم   يروج لديكم يابلاد العجائب ؟
وكل أخي زيف نفاه سواكمُ   يرى فيه من أخياركم ألف راغب
لقد راج دجل الشعر عند رجالكم
كما راج دجل السحر عند الكواعب
تواصت بغبن شيبكم وشبابكم
وفوضى الهوى ساوت مجداً بلاعب
فأحجم عن ميدانها كل سابق   جوادٍ وجلى فيه تهريج صاخب
وأمسى زمام الفكر في يد عصبة
هم المثل الأعلى لسخف المواهب
علام يجيد الفن فى مصر متقن   اذا كان بالتهريج نيل المراتب ؟
فياجهل واصلنا ويا علم فابتعد   ويا حمق لازمنا ويا عقل جانب
أرى الجهل نورا فى بلاد رجالها
خفافيش يعشيها ضياء الكواكب
اذا الشعب بالإهمال أرسب عاليا
فلا بدع لو يعلو به كل راسب

احمد الزين

حافـــظ

للأستاذ فليكس فارس

لعمرك ما فى الدهر ظلم ولا غدر   ولكن هى الدنيا مراحلها غمر
يرى المرء ما فى يومه وهو لا يرى   غدا ، وغد سر سيتبعه سر
مسالكنا فى الأرض خطت سطورها
إذا ما تلونا السطر لاح لنا سطر
ومعنى الذى نتلو كمين بما تلا   فما يدرك المعنى ولو ختم السفر
هنا كلمات إن نهجأ حروفها   ففى العالم المستور آياتها الغر
وإن تهتك الغيب الضمائر ترتضى   بواقعها فالحق يحجبه الستر
وكم نال منا الأمس حتى إذا انقضى   تبين منه الخير وانقشع الشر

* * *

أحافظ ، هل تشجيك فى ذلك العلا
هواتف آلام يرددها الذكر
أتشجيك حرب فى الحياة بلوتها   ويوجعك العزم المكابر والقهر
أتأسف للأيام عجلى ثقيلة   والليل عن صبح المكاره يفتر
وللأمل المغرور فى مهيع الصبا   وللحب لا جنى إذا انتثر الزهر
وللعلم مجهولا وللفضل مغفلا
وللود والاخلاص سادهما الغدر
وللنار تبكى فيك قلبا مولها   بمصر وقد ذلت بأغلالها مصر
أتبكيك هاتيك الدموع ذرفتها   قصائد من سودائها انفلق الفجر

* * *

أحافظ ، قل ، هل كان دهرك ظالما
وفى ظلمه المكذوب قد كمن النصر
أما نفذت فى الخلد روحك روحها
فلاح بها مما ادّخرت لها الذخر
وقد ظهرت منك السريرة درة
على شاطىء الأزمان ألقى بها العمر
لحظك فى دنياك أنت أردته   ومن نفذ المقدور نفسك لا الدهر
بنو الشعر رسل فى الحياة سبيلهم   إلى الله آلام يمهدها الصبر

فصحتهم سقم وراحتهم عنا   وعزتهم وهم وإثراؤهم فقر
وسيان فيهم ذو يسار ومعسر   فذاسجنه كوخ وذاسجنه قصر
مشيت وشوقى واحدا صنو واحد
نخلنا كما شفعا وروحكما وتر
وقد كان شوقى حافظا فى شقائه   وحافظ شوقى أمره للعلا أمر
فالمجد والعلياء ماقد نظمتما   وللخلد فى دنيا كما هذه الخمر
ترنح منها الثائرون كأنما   ألم بهم من كأس شعركما السكر

٭ ٭ ٭

أحافظ كم نادى بما قلت شاعر   ولكن ما اطلقته الصرخة البكر
وماسمعت أقطار يعرب قبلها   هتافا تنادى فى مقاطعه القطر
قصائد من وحي الشعوب أنينها   فناظمها فرد وملهمها كثر
أتيت بها والروع مرخ سدوله   على كل فج ضاق فى رحبه الصدر
تسير به الأقوام حيرى وليس فى   مطالعها بدر ينير ولا زهر
فأوقدت للسارين قلبك مشعلا   تفجر من أشعاعه المجد والكبر
رأى القوم أن النور فى القلب فاهتدوا
إلى قلبهم يجرى بأعشاره الفخر
وهل فى قلوب العرب إلا مشاعل   من القبس الهادى أضاء به الذكر
خبا نورها حينا فضلت عن الهدى
ولولا انطفاء القلب ما أظلم الفكر

٭ ٭ ٭

أحافظ ، قد أديت فينا رسالة   ختمنا بها عصرا فلاح لنا عصر
وحملك الماضى بجميع احتضاره   فيالك حرا نال من روحه الأسر
تحملت لا يرميك بالعجز فاضل   وناضلت لا يرميك بالسفه الغر
وقد كنت مصريا صميما بلاده   وأوطانه قلب العروبة والنحر
وما عاش قلب دون جسم يضمه   وما عاش جسم قلبه عنه يزورُّ
ألا رحم الله الذى مدَّ كفه   على صفحات البحر فانفلق البحر
وسارت على أمن تصافح يعربا   فصافحها المعمور والمهمه القفر

٭ ٭ ٭

أشاعرنا ، هذى قوافيك ألهبت   دم الأسد الباكى ففى دمه جمر
وكم من شهيد لو نثرت دماءه   لفاح على الدنيا به ذلك الشعر

٭ ٭ ٭

يقولون لولم يحكم الصمت حافظاً   ويطوى على غل قوادمه الصقر
لحلَّق فوق النيرين جناحه
وفاض على الشرقين من روحه السحر
أما والذى أخفى عن النفس كنهها
فأدرج فى أسرارها الجهد والأجر
لكل من الأرواح قسط مقرر   لها وعليها لا كثير ولا نزر
إذا البلبل الصداح أكمل شدوه   وبلغ ما ألقى على روعه النشر
إذا الزهرة الملداء نَوَّر تاجها
وفاح على الأرجاء من نفحها العطر
فقد جاد كل منهما بحياته
فما تطلب الدنيا وقد نفد العمر

٭ ٭ ٭

أحافظ ، أى الشعر أنشدت فى العلا
لسعد فمال الحور وارتعش السدر
تردده السبع الطباق مذيعة   لبشراك أن الشرق فى حقه حر
وما كان قبل العهد فى أرض يعرب
سوى صفحات كل عهد بها حبر
وهل يُطلق النسر الأسير جناحه   إذا لم يحرر رأسه ذلك النسر
تنبه هذا الشرق والأفق مظلم
وقد سادت الدنيا المطامع والكفر
فما يؤمن الانسان إلا بنفسه   وقد محيت من لوحه الكلم العشر
جهاد أبى قومى وسير أعلى الهدى   فما بسوى آفاقنا للسرى بدر
وهل للورى نور سوى نور ربهم   وفى آيه الأسعاد والمجد والبشر

٭ ٭ ٭

أحافظ ، هذا اليوم يومك إنما   جدير بذكر الحر موطنه الحر
وفى الأمس كان المجد مجدك أن نرى   وجوماً فلا إحياء ذكر ولا قبر
كتمنا القوافى ناحبات ذليلة   إلى أن أطل الفجر وابتسم الثغر
فاطلقت الذكرى لروحك حرة   وقد غار فى النسيان تذكارك المر

٭ ٭ ٭

تحييك كف المصطفى فى جهاده
وقد أورقت فى الأفق أعلامه الخضر
يحييك من عرش الكنانة عاهل   تبسم للآفاق فانفلق الفجر

فليكس فارس

الفنون

الفن المصرى

٢ – النحت

للدكتور احمد موسى

يكاد لا يختلف اثنان فى تقدير الفن المصرى القديم وخلود عظمته ، بل والتأكيد بأنه أصل الفنون جميعاً ؛ ذلك الذى حدا بكثير من علماء الفن والآثار إلى الاشتغال بتحديد الصلة بين الفن المصرى وبين ما جاء بعده من فنون الاغريق وغيرهم ، والقول بأن الاغريق أول من اقتبس عن المصريين ، ويدللون على ذلك بمقارنات قياسية بين تصميم المعابد المصرية ، ونظيرها عند الاغريق كما يقارنون بين منحوتات المصريين وبين منحوتاتهم فى أول عهدهم ، ويحاولون إيجاد الشبه والمخالفة بين الاثنين ، ثم تراهم يعرجون بعدئذ على قواعد غاية فى الدقة تؤكد صدق قولهم ، منها تناسب الأعضاء ، وتشابه المجموع الكلى وتناظر الانشاء الشكلى

كل هذا قد يكون صحيحاً إلى حد كبير ، ولكن أهم ما يجب علينا أن نعرفه ، هو أن الفن المصرى بدأ ونما وازدهر ، ثم انحط وانتهى دون أن يصل فى مرحلة من مراحله إلى المثل الأعلى بمعناه الفنى ، لأنه لم يمثل الحقيقة تمثيلا يدل على سمو الخيال وروعة التصور وكان هذا ولا يزال معدوداً من القصور الحتمى الذى لم يمكن للتخلص منه بد ، لأنه نجم عن طبيعة أرض مصر ، ونفسية أهلها ، وصفاء سماء بلادهم ، وسهولة العيش دون الكفاح الكثير . وبالرغم من أن مرحلة الحضارة المصرية استغرقت حوالى ثمانية أضعاف الوقت الذى استغرقته حضارة الاغريق ، فانه للأسباب الطبيعية المذكورة لم يصل الفن المصرى إلى ما وصل إليه الاغريق .

وإذا كنا لا نزال نذكر ماقلته عن بعض منحوتات اكروبوليس أثينا ومعبد بارتنون ، وما يحتويه من تلك القطع الرائعة التى مثلت الحياة خير تمثيل ، وفى قوة وصلت إلى أقصى ما يمكن أن يصل اليه الفن اطلاقا ، أمكننا أن نعرف بالمقارنة مدى ما وصل اليه المصريون



(ش ١) تمثال الكاتب

فى هذا النوع من الفن ، معرفة أقرب إلى الحقيقة العلمية منها إلى حشو القول !

لون المصريون كل ما تركوه بمقابرهم وأهرامهم ومعابدهم بألوان صناعية اتخذوا بعضها من الأرض ، هذا عند ماكانت من الحجر الجيرى أو الرملى ، أما فى الحالات الأخرى حيث كانت من حجر الجرانيت الوردى أو الأسمر ، أو حجر البازلت أو الديوريت أو السربنتين ، فانها تركت بدون تلوين اكتفاء بلونها الطبيعى . على أنه من المناسب أن أذكر شيئا عن الألوان الصناعية وكيفية عملها ، فاللون الأبيض كان من الجبس المخلوط ببياض البيض أو العسل ، والأصفر من الصنوبر أو الطفل ، والأزرق من مسحوق حجر الزبرجد أو من سلفات النحاس ، أما الأسود فكان من مسحوق العظام المحروقة

وإذا وجدت تماثيل خشبية أو حجرية من التى تقبل امتصاص الألوان وكانت غير ملونة ؛ فان هذا راجع فى الغالب إلى زوال الألوان بمرور القرون ، أو لأنها تركت قبل إتمامها لطارىء لم يكن فى الحسبان .



(ش ٢) شيخ البلد (الأسرة الرابعة)

من هذا ترى أن الصلة بين النحات أو المثال وبين المصور أو المنمق كانت قوية وضرورية لا كمال الانتاج الفنى ، وكان هذا من أهم العوامل التى مهدت السبيل إلى وجود شبه عظيم فى تكوين كل من التماثيل والمصورات ، بل إنك لترى ما هو أكثر من ذلك ، إذا قارنت التماثيل بالمصورات من حيث الفكرة والانشاء ، فتقف حينئذ على مدى ارتباط كليهما بالآخر من حيث الناحية الفنية ، والمنهجية ، نعم كانت المنحوتات والتماثيل مجسمة ، على حين كانت المصورات نصف بارزة أو محفورة أو مسطحة ، فكان هذا دافعا إلى تصويرها من الجانب ، ولعله من الضرورى أن أشير هنا إلى حالة شملها النحت النصف البارز والمحفور كما شملها التصوير ، لم تكن تعرف ولم تشاهد إلا فى الفن المصرى وحده . هذه الحالة التى تعد طابعا مميزاً « Caracteristic » تتلخص فى أن المصور جعل تصويره للانسان كما لو كان ناظراً إليه من الجانب لمجموع الرأس والساقين والقدمين ، وكما لو كان مشاهداً إياه من الامام للعينين والصدر واليدين ، فهذا رغما عن أنه خطأ ، إلا أنه استمر طوال أيام الفن المصرى كله منذ بدئه حتى نموه وازدهاره الذى أعقبه الانحطاط والانحلال ، إلا فى بعض الأحيان التى لا يمكن اعتبارها قاعدة للفن من ناحيته العامة ، ولم يعرف للآن شىء عن الدافع لهذا

اللهم إلا إذا كانت العينان والصدر واليدان أهم ما فى جسم الانسان من أعضاء فى اعتبار المصريين إجمالا أو فى نظر الفنانين على وجه الخصوص .

أما تاريخ النحت الكامل والنصف بارز « Relief » فهو وصف شامل لمراحلهما منذ عصر المملكة القديمة ، خصوصا فى عهد الأسرتين الرابعة والخامسة إلى آخر أيام النهضة المصرية ، ولما كان المجال لا يسمح بدرس هذا التاريخ تفصيلا ، فاننا هنا نعالج تطور هذين الفنين المرتبطين معالجة أقرب إلى الاجمال منها إلى التفصيل ، متخذين من بعض التماثيل نماذج كافية بعض الشىء للتطور والتقدم .

كانت عناية المثال والنحات فى عهد الأسرتين الرابعة والخامسة (٢٧٢٠ - ٢٥٦٠ ، ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م .) منصرفة إلى الاهتمام باخراج ملامح الوجه دقيقة التفاصيل صادقة التناسب ، أما بقية الجسم فكانت فى المرتبة الثانية من حيث الدقة وصدق المحاكاة ، بل إن هذه البقية كانت أحيانا رمزية أكثر منها حقيقية .

وأهم تماثيل هذه المرحلة – التى تعد من أهم مراحل النحت المصرى مما يناسب المقام هنا ، تمثال الكاتب المحفوظ بمتحف اللوفر وبمتحف القاهرة أيضاً .

والمشاهد للثانى منهما ، يراه جالسا على الأرض جلسة أقرب إلى تلك التى يجلسها الشيوخ القارئون اليوم (ش ١) ، واضعا قرطاسا على فخذيه ، ممسكا القلم بيمينه (المفروض هو أن يكون التمثال هكذا) شاخص العينين ، تدل ملامح وجهه على سحنة مصرية

وتمثال شيخ البلد تجده واقفا فى شىء من اليقظة وضخامة الجسم

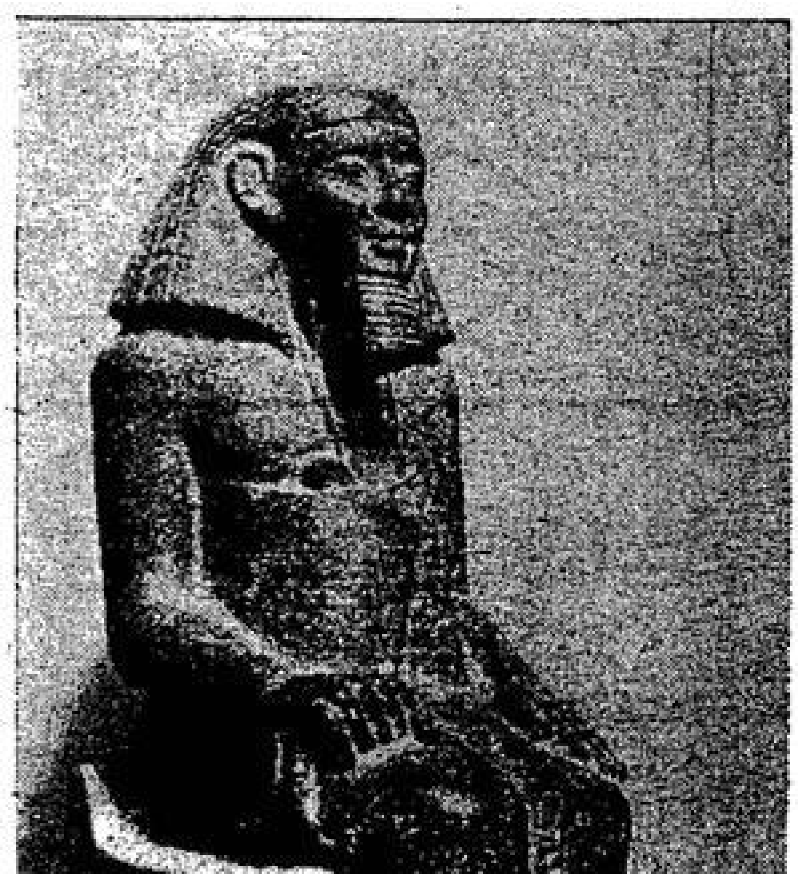


(ش ٣) الأمير راحوتب والأميرة نوفرت (الأسرة الرابعة)

التى يجب أن تتوفر فيمن يقوم بالشياخة ، كما ترى بالجزء الظاهر من هذا التمثال الخشبى (ش ٢) تناسب أعضاء الوجه وحسن اخراجها إلى حد بعيد ، أما ملامح الخلقة فتعطيك فكرة صادقة لمهمة هذا الرجل ، فهو بها أقرب إلى الآمر منه إلى المأمور . وتمثاله الكامل (بمتحف القاهرة) واقف وبيسراه عصا طويلة وصل ارتفاعها إلى الكتف ، متناسبة من حيث غلظها مع طولها والطول الكلى للتمثال

والصورة الثالثة تبين تمثالين ، الأيمن منها للأميرة نوفرت ، والأيسر للأمير راحوتب (بالمتحف المصرى) من أمراء الأسرة الرابعة أيضا . جلسا جلسة متناظرة تكاد تكون متشابهة على مقعدين متساويى الارتفاع ، وترى على كلا المسندين إلى يمين ويسار رأس كل من الأمير والأميرة كتابة هيروغليفية دلت على شخصيتهما

أنظر إلى الأميرة . وتأمل إلى أى حد بلغت قدرة الفنان المصرى فى ذلك الحين ، فاستطاع أن يصور لك الاحتشام والجمال بكل معانيهما . ولاحظ اختفاء الذراع اليسرى واليمنى. إلا اليد فهى مبسوطة أسفل الثدى : ولم يخرج بروز الثديين عن حدود أصول الجمال والذوق والتناسب مع الشكل العام : تجلس الأميرة شاخصة إلى المثال وقد تحلى عنقها وأعلى صدرها وحول الرأس بجواهر سبق المصريون فيها



(ش ٤) أحد رجال الدولة (الأسرة ١٢)



(ش ٥) تمثال امنحوتب بن حابو

كل من عاصرهم أو جاء بعدهم . وعناية الأميرة بشعرها كما يتضح من مظهره ، كانت بلا شك فائقة . فتراه قد استرسل على الأذنين وغطى جزءاً من الجبين ، أحاطته من أعلى الرأس بطوق بديع الصنع ساعد على حفظ تصفيف الشعر كما زاد فى تجميل الرأس دون ازدحام . والوجه جميعه دقيق الاخراج ، جميل الوضع ، رائع التناسب . أما جلستها مع ضم الساقين بعضهما إلى بعض فهى وإن كانت من القيود التى أبعدت الحياة عن مجموع التمثال ، إلا أنها تدل إلى حد كبير على نبل الجالسة وسمو شخصيتها .

وجلس الأمير راحوتب فى وضع متشابه مع الأميرة ، ترى لأول وهلة أنه خالفها لوناً ومظهراً . فهو لم يغط من جسمه إلا الجزء الأوسط فضلا عن لونه الأسمر على نقيض الأميرة . ارتفعت الذراع اليمنى عن الصدر قليلا واليد مقبوضة الأصابع . كما تمتد الذراع اليسرى حتى تتمكن اليد من الاستناد على الركبة وهى مقبوضة الأصابع بشكل يتناسب وتوفر الارادة فى صاحبها . والتمثال فى مجموعه يعطيك فكرة واضحة لحسن انتباه الفنان حيث ترى البساطة فى الملامح والمجموع الكلى .

وإذا انتقلنا إلى الأسرة الثانية عشرة فجأة ، فذلك لامكان ادراك الفوارق بوضوح ، فالتمثال (ش ٤) يمثل أحد رجال الدولة جالساً بلباس ربما كان مخصصاً لأمثاله فى ذلك الحين ، وبالنظر اليه اجمالا

نجد الجسم مغطى من أعلى القدمين إلى أسفل الثديين ، كما نرى الرجل قد ترك الشعر مسدلا على الكتفين وقد اكتسب الوجه ، علاوة على دقة تفاصيله شيئاً من الحياة ، لاحظ تلك الابتسامة الضئيلة التي ارتسمت على محياه ثم تأمل في الانشاء المجموعي ولاحظ مع هذا أن التمثال مصنوع من الجرانيت . أما طريقة وضع متجاورين ، واليدين أعلى الفخذين : فهذه هي نفسها الحالة التي شاهدناها بالتماثيل السابقة مع الفارق الزمني الفسيح .

ولعل تمثال أمينحوتب (ش ٥) أشبه بتمثال الكاتب (ش ١) من حيث الجلسة ، أما اهتمام الفنان بتقليد طبيعة الجسم البشري من حيث الاجتهاد في إظهار الثنايا أسفل الثديين وأعلى البطن فهو جدير بالنظر . تأمل ما طرأ على مظهر الرأس وملامح الوجه من علائم التفكير ، والكيفية التي استطاع الفنان بها اظهار العينين والحاجبين . ثم الشعر وما فيه من تجاعيد زادت في حسنه ، كل هذا دليل التطور والتقدم .

وكانت الأسرة الثامنة عشرة غنية بتماثيلها (١٥٥٥ - ١٣٥٠ ق . م .) وبالنظر إلى احداها (ش ٦) ترى أن الشكل العام للتمثال أصدق محاكاة ، وأجمل تناسباً في الأعضاء مما سبق مشاهدته ، والشيء الجديد الذي نلاحظه هنا هو تحلية الرأس بالأفعى المقدسة ، فضلا عن ظهور الجسم على جانب كبير من جمال التكوين ، وربما كانت الأذنان من أحسن الأجزاء التي يمكن مقارنتها مع ما شاهدناه في تمثالي أحد رجال الدولة (ش ٤) وشيخ البلد (ش ٢) إذ تتضح بذلك العناية بمختلف أجزاء الجسم مما يدل على إدراك أصول الجمال العام كنتيجة للتقدم العظيم في عهد المملكة الحديثة .



(ش ٦) تحوتمس الثالث (الأسرة ١٨)

وفي تمثال رمسيس الثاني (ش ٧) مع ضآلة ما هو ظاهر منه ترى تفاصيل الوجه من جانبه دقيقة كما يبدو الجسم متناسب الأعضاء أما القدرة التي تجلت في تكوين القدمين والأصابع فهي جديرة بالاعتبار حقا .



(ش ٧) رمسيس الثاني (الأسرة ١٩)

والزائر لمتحف القاهرة يستطيع بزيارة الصالات التي روعي في ترتيب محتوياتها التدرج التاريخي ، أن يأخذ فكرة شاملة لفن رائع جمع إلى القدم ، جمالا خاصا ميزه على سائر منحوتات غيره من الشعوب

(لها بقية) **احمد موسى**

البريد الأدبي

مؤتمر دولي للآثار

يعقد الآن بمدينة القاهرة بدار الجمعية الملكية الجغرافية مؤتمر دولي للآثار والمتاحف. وقد افتتحه وزير المعارف المصرية بخطاب نوه فيه بما لمصر من مركز خاص في عالم الحفريات الأثرية، وبما بذله العلماء الأجانب لاستكشاف كنوزها الأثرية، وبما تبذله مصر لصون تراثها الأثري؛ وتمنى في خطابه أن تعمل الحكومات المختلفة على حظر إخراج الآثار القومية من وطنها، وأن تحل هذه المسألة الشائكة بما يرضى الفن والأماني القومية

ويعقد مؤتمر الآثار والمتاحف الآن دورته الرابعة؛ وقد عقد من قبل ثلاث دورات: الأولى في رومة، والثانية في أثينا، والثالثة في مدريد؛ وهو يعنى بالبحث في كل ما يتعلق بالآثار والحفريات الأثرية وصيانة الآثار، والمتاحف وتنظيمها؛ وقد شهد الدورة الحاضرة زهاء خمسين مندوبا يمثلون عدة من الأمم الغنية بكنوزها الأثرية مثل فرنسا وألمانيا وإيطاليا وانكلترا وأمريكا وتركيا والعراق ومصر وغيرها

ولعقد هذا المؤتمر الأثري بالقاهرة أهمية خاصة، لأن مصر تشكو منذ حين تبدد تراثها الأثري على يد بعض العلماء الذين لا يراعون حرمة العلم، وبعض التجار ومهربي الآثار الذين يعملون بلا انقطاع على اختلاس كنوزها الأثرية وتفريقها في مختلف الأقطار؛ والذين زاروا المتاحف الأوربية من المصريين يعرفون كم تضم الأقسام المصرية في المتاحف الأجنبية من آثارنا المفقودة، وكم تضم منها المتاحف والمجموعات الخاصة في مختلف أنحاء العالم. وقد شعرت مصر أخيراً بوجوب التحوط لهذا الاعتداء المتكرر على تراثها الفني؛ وربما كان في مجاهرتها بالشكوى أمام هذا الحفل الكبير من علماء الآثار وممثلي الدول أثره في تحقيق أمنيتها وتقريب وسائل العمل على صون تراثها الأثري

مجمع اللغة العربية الملكي

اختتم مجمع اللغة العربية الملكي دورته الرابعة في الاسبوع الماضي، وانفرط عقد أعضائه الشرقيين والغربيين، وقفل عدة منهم راجعين إلى بلادهم، وقد امتازت هذه الدورة من المجمع بظاهرتين: الأولى ظاهرة القلق والتكهن حول مستقبله ونظامه الجديد الذي تعنى وزارة المعارف بوضعه منذ حين؛ والثانية ظاهرة النشاط ولاسيما في ميدان استنباط المصطلحات والألفاظ الجديدة. وقد أثار المجمع ونظامه في هذه الدورة كثيرا من الجدل، ووجهت اليه وإلى جهوده حملات كثيرة، واضطر المجمع نفسه أن يخوض معركة الجدل للذود عن كيانه وعن جهوده؛ والواقع أن المجمع قد بدأ في هذه الدورة لأول مرة يدرك خطورة مهمته، ويشعر بسهام النقد التي توجه اليه، ومعاول الهدم التي تشهر عليه؛ بيد أن من الانصاف أن نقول إن المجمع قد أبدى في هذه الدورة نشاطاً يحمد، وإنه اذا كان في تكوينه الحاضر بعض الشذوذ والاضطراب، فليس الذنب في ذلك عليه، وإنما على الذين تأثروا في تأليفه على هذا النحو باعتبارات لا علاقة لها بمهمته الأصلية. ورجاؤنا أن يوفق ولاة الأمر إلى إصلاح المجمع وتنظيمه بصورة جديدة تبدو فيها مصريته قوية واضحة، وتمثل فيه الكفايات المصرية التي أهملتها البواعث والأهواء الشخصية، وتحدد مهماته اللغوية والعلمية والأدبية تحديدا واضحا بحيث يغدو بهذا الاصلاح من القوة والهيبة الادبية في مصاف المجامع اللغوية العريقة

احياء ذكرى حافظ ابراهيم

كان يوما السبت والأحد ٦ و٧ مارس الحالي موعداً للاحتفال باحياء ذكرى حافظ ابراهيم، ففي مساء يوم السبت قصد إلى دار الأوبرا جمهور يبلغ الألفين، وحضر الحفلة صاحب العزة محمد حسين بك مندوب جلالة الملك ومجلس الوصاية، كما حضرها بعض الكبراء.

وافتتحت الحفلة بالقرآن الكريم، ثم ألقى صاحب المعالي علي زكي العرابي باشا وزير المعارف كلمة الافتتاح، وتلاه الخطباء والشعراء طبقاً للبرنامج الذي نشرناه في العدد الماضي، وكذلك كان في اليوم الثاني

وقد كانت الحفلتان مظهراً رائعاً للوفاء لحافظ، غير أننا نلاحظ أن كثيراً مما قيل فيها لم يكن معداً لهذه المناسبة، بل كان عهده قبل ذلك، كذلك التضييق في الوقت على الخطباء والشعراء كاد يؤدي إلى

الاخلال بالغرض منه ، فان عدم اتمام الخطب والقصائد انصياعا لقانون الاذاعة لم يساعد على إيضاح النواحي المختلفة للشاعر المحتفل باحياء ذكراه - التي يتناولها الخطباء والشعراء ، وقد كان أحرى بلجنة الاحتفال أن تختزل الخطباء والشعراء ، وأن تقدر لكل خطيب وكل شاعر من الوقت ما يتسع لالقاء كلمته

ولعل لنا عودة إلى الكتابة عن الحفلة وما قيل فيها وتناوله بما يعن لنا من النقد

أسبوع الجاحظ في الجامعة المصرية

ستحتفل كلية الآداب بالجامعة المصرية باقامة أسبوع للجاحظ بمناسبة مرور أحد عشر قرنا على وفاته ابتداء من يوم ٢٥ مارس . وهذه هي موضوعات المحاضرات وأسماء المحاضرين موزعة على أيام الأسبوع:

كلمة الافتتاح :		اليوم الأول
حياة الجاحظ :	للأستاذ عبد الوهاب عزام	
ثقافة الجاحظ :	« أحمد أمين	
منهج تفكير الجاحظ :	« أمين الخولي	اليوم الثاني
أسلوب الجاحظ :	« عبد الوهاب حمودة	
الجاحظ بين النقد والبلاغة :	« شوقي ضيف	اليوم الثالث
الجاحظ المعتزلي :	« عبد اللطيف حمزة	
كتاب الحيوان :	« كراوس	اليوم الرابع
البيان والتبيين :	« السقا	
دعابة الجاحظ :	« ابراهيم مصطفى	اليوم الخامس
مآخذ الجاحظ :	« أحمد الشايب	
فكاهة الجاحظ :	الدكتور طه حسين بك	اليوم السادس

مستقبل الكتاب

هذا موضوع يثير اليوم كثيراً من الجدل . ويتساءل أقطاب التفكير الرفيع اليوم هل سيقضى على الكتاب في المستقبل القريب ؟ لقد تناقص قراء الكتب القيمة إلى درجة تثير الجزع في جميع الدوائر الأدبية ، والاجماع على أن ذلك يرجع بنوع خاص إلى تأثير السينما والراديو ، والمجلات المصورة ، والمجلات الأسبوعية ، وذيوع الأدب الغث من القصص البوليسية وغيرها ذيوعا هائلا ؛ بيد أنا قرأنا أخيراً فصلا لكاتب فرنسي كبير يذهب فيه في تعليل هذه الأزمة الأدبية مذهباً آخر ؛ فهو يسلم بما للسينما والراديو من أثر في إحداثها ، ولكنه يقول إن هناك سببا آخر أشد أثرا ، وهو أن أقطاب الكتابة في عصرنا لم يفلحوا في الوصول إلى العاطفة الشعبية ، ففي القرن الماضي مثلا كان كتاب مثل بلزاك وفكتور هوجو وأميل زولا وفرانسوا كوبيه ، وغيرهم يصلون بسرعة إلى أعماق قلوب الشعب ، ولكن هذه الطبقات الشعبية تكتفي اليوم بقراءة الرواية البوليسية أو مشاهدة السينما ؛ وكيف لا يكون ذلك وأكابر كتاب العصر ، مثل جيد وبروست وفاليري وغيرهم يقصدون بما يكتبون طبقة أو طبقات معينة من الخاصة ؟ فالشعب يقرأ في الواقع ما يكتب له ، فاذا نأى عنه عظماء المفكرين فهو بدوره ينأى عنهم

وهكذا يغدو الميدان حرا لرواج الأدب الغث الرخيص ، ويفقد الجمهور شيئا فشيئا الرغبة في تذوق الأدب القيم ، ولا يطلب إلا نوعا للتسلية وتمضية أوقات الفراغ في المكتب أو المصنع أو قبيل النوم ، ويقضي على كل مجهود يبذل لترويج الكتاب القيم بالفشل لأنه لا يلائم ذوق الجمهور ولا يرضي عواطفه

ونحن نوافق الكاتب في أهمية هذا التعليل النفسي الذي يقدمه شرحا لأزمة الكتاب ؛ بيد أننا لا نعتقد أنه تعليل حاسم ، وهناك بلا ريب عوامل كثيرة أخرى لها قيمتها ؛ ومن المحقق أن الكتاب فقد كثيرا من نفوذه وسحره القديم بفعل التطورات الفكرية والاجتماعية المعاصرة

الأستاذ لامبير

وفد على مصر في الأسبوع الماضي العلامة المشترع الفرنسي الكبير المسيو ادوار لامبير عميد معهد القانون المقارن بجامعة ليون ، بدعوة من كلية الحقوق المصرية ليلقي سلسلة من المحاضرات القانونية ، وقد بدأ الأستاذ فألقى بالفعل محاضراته الاولى . وللأستاذ لامبير روابط علمية قديمة بمصر ، فقد كان ناظرا لمدرسة الحقوق الخديوية سنة ١٩٠٦ ؛ ومع أنه لم يقم بمصر أكثر من عام ، فانه ترك بها أحسن الأثر ، ولما عاد إلى جامعة ليون ، التف حوله هنالك في كلية الحقوق جمهرة من الطلبة المصريين الذين تلقوا دراستهم القانونية تحت إشرافه ؛ وهم اليوم جمع حافل ، منهم بعض أكابر فقهائنا ، ومنهم كثير ممن يشغلون أسمى المناصب . واستمرت العلائق العلمية والودية بين الأستاذ لامبير وبين تلاميذه المصريين من ذلك الحين إلى يومنا ؛ وهو يزور مصر الآن بعد ثلاثين عاما ، وهو في ذروة نضجه العلمي ؛ وقد استقبل الأستاذ من جميع تلاميذه القدماء بالتجلة والتكريم ؛ وسيواظب على إلقاء محاضراته في « القانون المقارن » ، وكل ما يمت إليه من المسائل الفقهية والاجتماعية

مسرحية جديدة لشيلر

المعروف أن الشاعر الألماني الكبير شيلر قد ترك حين وفاته مسرحية لم تكمل ، عنوانها « ديمتريوس » ؛ وقد لبثت هذه القطعة على

نقصها منذ وفاة الشاعر إلى يومنا . وأخيرا عنى الدكتور فلهلم هينتز باتمامها تمشياً مع فكرة الساعة التى ظهرت من جزئها المكتوب . وقد مثلت فعلا لأول مرة بمسرح ماينتجن ، والمنظور أنها تمثل بعد ذلك فى جميع مسارح ألمانيا ، ثم تنقل إلى مختلف اللغات وتمثل فى فى جميع المسارح الأخرى .

المتاحف المتنقلة

وضعت إدارة متحف السويد القومى مشروعا جديدا للثقافة الفنية القومية خلاصته أن تنظم عرض بعض الآثار والتحف الهامة بصورة دورية وأن تتخذ لعرضها عربة من عربات السكة الحديدية ، تصنع بشكل بهو فنى ، ويمكن تسييرها إلى مختلف المدن ؛ وتقوم إدارة السكة الحديدية الآن بصنع هذه العربة الجديدة التى سيطلق عليها « عربة الفن » ، وستغطى نوافذ هذه العربة بألواح ضوئية لكى تعكس أكبر مقدار من الضوء على الداخل ؛ وتضاء بعد الغروب بجهاز كهربائى قوى ؛ وستجهز العربة أيضاً بجناح خاص لالقاء المحاضرات الفنية على الزائرين ؛ وسيطوف هذا المتحف المتنقل بالمدن والقرى الواقعة على السكة الحديدية والقريبة منها ، ويمكث أياماً فى كل منها ؛ وتعضد الحكومة هذا المشروع وترى فيه وسيلة حسنة لتعريف الطبقات التى لا تسمح لها ظروفها بزيارة العاصمة بالكنوز القومية الفنية ؛ وترقية ثقافتها الفنية

لوتسى كارولين رايبر احدى الفنانات البارزات

من الظواهر الفذة فى العصر الحاضر اشتغال كثير من السيدات بالفن وبروز بعضهن فيه - والسيدة لوتسى رايبر إحدى هؤلاء البارزات جاءت إلى مصر لأول مرة سنة ١٩٢٩ وظلت دائبة المشاهدة والبحث وراء المناظر الشرقية الرائعة مسجلة إياها على لوحاتها آنا بالزيت وحيناً بالباستيل ومرة بالطبع من لوحات اللينو ليوم التى حفرتها بنفسها لمختلف الألوان .

ولعل من الغريب أن تكون السيدة رايبر من فنانات الوقت الحالى ، ومع هذا لا تتجه بروحها إلى الفن الحديث الذى يعنى بالموضوعات من حيث معناها قبل العناية بتصويرها دقيقة التفاصيل ، لأنك تراها محافظة على تعاليم المدرسة النموذجية (كلاسيك) فى معظم لوحاتها :

زرت معرضها بصالة نيسترى ، وشاهدت بعض لوحاتها التى دلت على ما لهذه السيدة من مقدرة فائقة فى صدق المحاكاة وحسن الاختيار ، وجمال الاخراج وانسجام الألوان .

فأنت تنتقل من منظر لقهوة بلدية إلى منظر يمثل لك جامع الأزهر فى الغروب فتقف أمامه مأخوذاً بقوة ألوانه وانسجام تفاصيله وحسن بيانه ، ثم إلى لوحة بشارع الحمزاوى وإلى أخرى بباب المتولى فترى أنك أمام مجهود رائع جدير بالتسجيل والاعجاب

أما لوحاتها للمناظر الشخصية Portrait فكانت مع قلتها نسبياً دليل المقدرة والتفوق ، ولا نزال نذكر صورتيها الرائعتين للسيدة مدام الدكتور م ومدام ب .

فبالأولى رأينا كيف استطاعت الفنانة أن تجمع فى صورة هذه السيدة بين الرقة والجمال وبين حسن التكوين الانشائى واختيار الألوان . أما القوة التى انبعثت من عينى السيدة المذكورة فانها حقيقة جديرة بالاعجاب فى أدق معانيه ، كما لاحظنا فى الصورة الأخرى رقة وعذوبة لا يسهل اخراجها بهذه العناية إلا لمن تمكن من الفن .

ولما كانت هذه السيدة النمسوية الأصل ستعرض لوحاتها فى معرض الفن الحديث الذى سيفتتح قريبا ، فإنا نرجو أن يقبل القراء على مشاهدة هذه المجموعة الرائعة إلى جانب ما سيعرض به من أعمال الفنانين الآخرين ؟

الدكتور أحمد موسى

مجمع علمى فى ألمانيا يجمع نوادر المخطوطات عن علوم القرآن

يقوم المجمع العلمى فى بافاريا منذ سنوات عديدة بجمع الكتب والنوادر المخطوطة باللغة العربية والمؤلفات الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه والقراءات وتاريخ القرآن . وقد اقتنى من ذلك مجموعات كبيرة بعضها امتلك أصوله الخطية وبعضها استنسخ منه لوحات فوتوغرافية كاملة . وأسس بهذه المجموعات كلها متحفاً خاصا كبير القيمة . وشرع بعد ذلك يطبع على نفقته بعض الكتب ذوات القيمة منها

وقد فكر المجمع بعد ذلك فى أن تقوم جهة من الجهات التى يعنيها أمر هذه العلوم بطبع ما بقى من هذه الكتب وهو كثير . ورأى أن أولى الجهات بتقدير مثل هذه المجموعة هى الأزهر الشريف والحكومة المصرية . فأوفد أحد أعضائه وهو الدكتور برتزل إلى مصر للتفاهم فى هذا الأمر .

وقد قدم الأستاذ برتزل إلى رياسة الأزهر مذكرة تفصيلية بما قام به المجمع العلمى فى بافاريا فى هذا الشأن والقيمة العلمية والأدبية والتاريخية التى تقدر بها مجموعات الكتب التى حصل عليها أو على لوحاتها الفوتوغرافية منها . وشرح لرياسة الأزهر فكرة المجمع فى طبعها تحت إشراف الأزهر وعلى نفقته . وما يكون لذلك من الأثر فى نشرها وتقديرها وإخراجها فى عناية وضبط وإتقان . وشفع

مذكرته بقائمة بأسماء الكتب التي حصل عليها المجمع والكتب التي قام بطبعها في ألمانيا..

وقد أحالت مشيخة الأزهر هذه المقترحات والمذكرة الملحقة بها إلى الأستاذ محمد فريد وجدي مدير مجلة الأزهر لدرسها وإبداء الرأي فيها وانتهى الأستاذ وجدي من درسها وأبدى رأيه إلى رياسة الازهر

وقد قابل الدكتور برتزل أمس صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر في مكتبه قبل ظهر أمس وتباحثا في هذا الموضوع

وقد أعرب المجمع عن استعداده أن يقدم إلى مشيخة الأزهر بعض الألواح الفوتوغرافية لهذه الكتب ليمكن رياسته أن تحكم على قيمة هذه المؤلفات وأصحابها قبل إقرار طبعها تحت إشراف الأزهر وتحمله نفقاتها. ولذلك أعرب المجمع عن استعداده لأن يرسل إليه الأزهر أحد رجاله لبحث هذه المخطوطات أو تصويرها في لوحات خاصة لمشيخة الأزهر لتتمكن بمعرفة الاخصائيين من رجالها من تقرير المجموعة التي يريد المجمع طبعها والتنازل في نظير نشرها عن جميع الحقوق والنفقات التي تكبدها في سبيل الحصول عليها في سنين طويلة

الى صاحب رسالة المنبر الأستاذ فليكس فارس

قرأت كتابك (رسالة المنبر إلى الشرق العربي) فما أحسن ما أبدعت وما أبدع ما أحسنت، لكأن الشرق هو ألقى حكمته في فمك وأرسل كلمته من قلبك، ثم نصب لك منبره العالي وقال لك - قم فتكلم.

لم أرك انحرفت عن الحقيقة ولا ملت عن وجه الرأي ولا نزعت إلى تقليد ولا جنحت إلى متابعة ولا غرك اسم فيلسوف ولا خدعك اسم كاتب، بل كنت كالسيف لا يعمل إلا عمل حده القاطع ضاربا في كل مرة ضربته في كل مرة

وفي كتابك أنات هي رعد قلبك الحر، وفي بيانك إشراق هو نور نفسك القوية، فلا جرم كان ما كتبته من الكلام الروحي البليغ الذي يقرأ بالعين ويسمع في النفس في وقت واحد

ولقد أدركت بفطرتك السليمة وروحك الملهمة ما في دين الفطرة من الحكمة الاسلامية البالغة وجئت من ذلك بأشياء كأنها من نبع الوحي، فكنت بعقلك وذكائك وإحساسك النبيل صورة أخرى لحكيم الألمان وشاعرهم (جيته) حين قال: — إذا كان هذا هو الاسلام فكلنا مسلمون

حياك الله وأدام النفع بك وأمتع بأدبك والسلام ؟

من المخلص

مصطفى صادق الرافعي

مؤتمر اللاسلكي الدولي

في شهر فبراير سنة ١٩٣٨ يعقد في القاهرة المؤتمر الدولي اللاسلكي وقد وجهت وزارة الخارجية الدعوات إلى الدول التي تشترك في أعمال هذا المؤتمر كما وجهتها إلى اللجنة المختصة بجمعية الأمم

وبهذه المناسبة نذكر أن لمصر مطالب هامة ستعرضها على هذا المؤتمر وأهمها أن يكون لها موجة دولية خاصة بها. وقد سبق أن طلبت مصر هذا الطلب في المؤتمر الذي عقد في لوسرن ولكنها لم تفز إلا بالموجة الحالية التي تشاركها فيها محطة بروكسل ببلجيكا. وقد عدل هذا الطلب أخيراً وجعل بموجتين بدلا من موجة واحدة

وهاتان الموجتان المطلوبتان من الموجات القصيرة حتى يمكن أن تنقل الاذاعة اللاسلكية المصرية بجلاء إلى كثير من الأقطار التي ترغب في الاستماع إلى الاذاعات المصرية وفي مقدمتها القرآن الكريم

وإذا رخص لمصر بهاتين الموجتين أمكن عندئذ إنشاء محطتين للاذاعة بطريق هاتين الموجتين قوة كل محطة من ١٥ إلى ٢٠ كيلوات بينما المحطة المصرية الحالية وقوتها ٢٠ كيلوات لا تسمع بجلاء تام في بعض الأقطار الخارجية

على أن في النية تقوية المحطة الحالية حتى تبلغ قوتها ١٠٠ كيلوات أي خمسة أضعاف القوة الحالية وستخصص للبرنامج العربي، أما المحطة أو المحطتان الأخريان المراد انشاؤها فستخصصان للاذاعات الأخرى

البعثات العلمية

أدرج في الميزانية الجديدة للبعثات العلمية ١٠٠٫٠٠٠ جنيه منها ٢٧٨٠٠ جنيه لبعثة وزارة المعارف و ٣٩٦٠٠ جنيه لبعثة الجامعة المصرية و ٤٢٠٠ جنيه لبعثة وزارة الزراعة و ٥٠٠٠ جنيه لبعثة وزارة الصحة و ٥٤٠٠ جنيه لبعثة وزارة المالية و ٣٣٠٠ جنيه لبعثة وزارة الأشغال و ٣٠٠٠ جنيه لبعثة وزارة المواصلات و ٩٠٠ جنيه لبعثة وزارة التجارة والصناعة و ٤٠٠ جنيه لبعثة وزارة الحقانية و ٧٣٠٠ جنيه للامتدادات و ٣٠٠٠ جنيه للبعثات الصيفية القصيرة المدى و ١٥٠٠ جنيه نفقة زوجات الأعضاء في الخارج و ٣٠٠٠ جنيه لاسعاف الطلبة الذين يدرسون في الخارج على نفقتهم فيكون المجموع ١٠٤٤٠٠ ولكن المنتظر عدم صرف مبلغ ٤٤٠٠ جنيه فيكون الاعتماد المقرر هو مائة ألف جنيه فقط

أما عدد أعضاء البعثات فيبلغ ٢٩٠ عضواً منهم ٧٥ عضوا ببعثة وزارة المعارف و ١٤٤ عضوا ببعثة الجامعة و ١٢ عضوا موفدون من الزراعة و ٩ أعضاء موفدون من الصحة و ١٥ عضوا موفدون من المالية و ٨ أعضاء موفدون من الأشغال و ٤ أعضاء موفدون من المواصلات وعضوان موفدان من التجارة وعضو واحد من الحقانية

الكتب

البدائع

تأليف الدكتور زكى مبارك
للأستاذ يوسف محمد

كل كتاب بعنوان خلاب لم يخدعنى فحواه ولم يغرنى مرماه ولم يخلف ظنى واضعه «كأطباق الذهب» و «نسيم الصبا» بل لما ألق كتابا عنوانه أخاذ لم يخيب وهمى إلا هذا الكتاب الممتع الذى أنا بصدده، ففى هذه المرة فقط قد طابق عنوان الكتاب الواقع، وطابق باطنه ظاهره فهو على الحقيقة سلسلة نفيسة من الروائع والبدائع خليقة أن تخلد فى مجلد.

حسبك أن تقلبه حتى توقفك فصوله لطرافتها، وحتى تنفرج لك صفحاته عن معرض، وعن أمتع الأشياء، أو عن حديقة غناء فيها ما فيها من بهيج الأزهار ويانع الثمار حتى لتحار أيها تقطف وأيها تجنى لفرط البهر إذ كلها بهى نهى، كأنك صبى فتنته معروضات اللعب المتباينة الأشكال أو شره إزاء لذائذ الصحاف والألوان

الكتاب فى جملته أشبه شىء بموسوعة موجزة، دال على ذهن خصب وعقل رصين وقريحة طلقة وسعة اطلاع لا تغيب عنها لا صغيرة ولا كبيرة، أحاط صاحبها بالغابر والحاضر والآجل، فبيناهو يذكرك بماضيك لأنك لا تفهم حاضرك إلا به إذا هو يتابع عصره ويساير النهضة ويساهم فيها ثم يفكر فى المصير لأن الأمس واليوم يهيئان الغد

فاذا ما تصفحت الكتاب فكأنك تقوم برحلة شائقة تفتح فيها لذهنك آفاق جديدة وأبواب مغلقة وتنثال عليك آراء لم تكن فى حسبانك، فتحس تجدداً فى الفكر والشعور كمن استفاق من نوم عميق معافا منستجما، يخرج بك من حديث أدبى معجب إلى موضوع غزل مطرب، وينتقل بك من نقد رفيق لاذع إلى حديث عن سيرة عظيم بارع، ثم يستدرجك من هذا إلى تفطينك إلى رائع الشعر الدفين ودقيق المعنى الكمين، ثم يتجاوز معك إلى النظر فى بعض وجوه الأخلاق والاجتماع وكشف الغطاء عن طلاء بعض الطباع وبعد هذا المطاف يرجع بك إلى الوراء، إلى الماضى البعيد أو القريب فيريك من آياته عجبا، ولعلك تزعم أن هذه الفصول أشتات وتفاريق تعوزها الوحدة المنسجمة، ولكن مهلا: روح الكاتب السارية فيها جميعا سريان الماء فى الأعواد كفيلة بالوصال الوثيق.

ومن خصائص هذا الكاتب أنه يملك ناصيته الحاسة الأدبية فيما يكتب، ولو أنه قليل الاستعارات والمحسنات، فإنه يرى الأشياء فى دقائقها وجملتها كالمتفنن متأثرا بمفاتنها، مستغنياً عن التصريح بالتلميح وعن العبارة بالأشارة حتى يوحى إليك بالمعانى إيحاء، يصف لك ما رأى وما سمع ولكن لا يريد الوصف للوصف وإنما لإماطة اللثام عن جانب من جوانب نفسية الناس أو يبين خبيئة من خبايا الجماعة لأن الإنسان لا يعنيه إلا الإنسان، وإن غضب أو رضى استرسل فى الأسلوب الخطابى الفياض وتدفقت لغناته ومبراته كنهر زخار، اقرأ مثلا «عيدالحرية فى باريس» و «أخلاق الناس» و «بين العقل والهوى» تر صدق ما أقول وأكثر ما تتجلى فيه هذه الروح الأدبية حين يتناول الشعر بالتحليل والتعليل فاذا تحدث عنه ذوقك اياه تذويق الخبير، وبصرك بروعته تبصير العارف البصير، كأنما تلبس نفس الشاعر ثم عرفك بالصحيح منه والمزيوف كالصيرف الماهر، اقرأ فى الكتاب «نقد ديوان شوقى» ثم قصائد المديح فى الأدب العربى توقن بما قدمت ايقانا تاما فلا أحد حبب إلى الشعر العربى وقد كنت منه نافرا إلا هذا النقاد الحاذق.

ثم يمتاز هذا الكاتب بالصدق والصراحة حيث تمثله كتاباته كل التمثيل وتشف عن عقليته كما يشف الثوب الرقيق عن الجسم الرشيق، تنم سطوره عن نزوعه إلى القديم القويم الجدير بالرعاية وتشى بمسايرته لعصره، ويشيع فيها الروح الدينى الصوفى فهو حين يصور لك سحر باريس وفتنة باريس يصورها فى لهف وشوق كمتعبد ربى على الحشمة والوقار وكبت النفس الأمارة بالسوء ثم إذا هو قد لان ووهن وبروعة الجمال افتتن فذهب عقله شعاعا واتنى وقاره ضياعا، ولعل ما تميز به من وضوح الأسلوب والجلاء ناشىء من الصراحة المتناهية لأن من أسباب الغموض والاستغلاق ميل الكاتب إلى المداراة والتعمية والتنكر، ومن هنا كانت شخصيته قوية عصية على التقليد والفناء فى غيرها، فهو لم يتأثر بأحد ممن لازمهم وأخذ عنهم لا فى نمط التفكير ولا فى طراز التعبير.

ربما ساءلت نفسك مرة إن عددت الجهل مزريا بك: لماذا اقرأ؟ فأنت تقرأ للهو والتسلية ونفى الملال ان كنت من أهل الفراغ ثم لتسر من مصادفتك لما يشبه ما يجول فى خاطرك من المعانى ومن لقائك

من يشاطرك فى مشاعرك ثم لتصلح ما اعوج وفسد من أفكارك بالقياس إلى أفكار سواك إذ لابد من تصحيح التجارب الشخصية وتوطيدها بالقراءة، ثم لتضيف إلى ماتعلم ما لاتعلم فتزداد ثروة على ثروة ثم لتستوضح على ضوء القراءة ما يقوم بذهنك من المعانى العائمة القلقة الدائرة فى شبه الظل ثم لتمرن فكرك وتروضه على التأمل المستمر حتى لا يعلوه الصدأ وتذهب عنه مرونته ومتانته وحتى لا يصيبه الخمود والجمود والركود لأن القراءة ضرب من التفكير إذ فيها محاولة لمتابعة الكاتب فى سير تفكيره وإلا استدق عليك واستغلق ثم لترهف ذوقك لأن الذوق الرفيع لا يكتسب إلا بطول القراءة واستدامة الموازنة بين الجيد والردىء والغث والثمين ثم لتنبه ما غنى من عقلك وتخمد من قلبك فكل هذا تكتسب من كتاب «البدائع»، فعليك به تجد فيه المسلاة والمأساة والنور.

منذ انتشار الصحافة واتساع دائرتها ازدهر أول ما ازدهر عندنا من ألوان الأدب ما يسمونه بأدب المقال (Ess ayisme) حيث يسع هذا النوع بوجه عام جميع فنون القول والأغراض والبحوث فى فصول ورسائل تطول أو تقصر بحسب ما يقتضى المقام، فيصاغ فى هذا القالب من الأدب فصول فى النقد ونبذ فى التاريخ وأبحاث فى الأخلاق والاجتماع وتصب فيه النظرات والخطرات والمشاهدات حتى الأقاصيص الموجزة الصغيرة وقد كان هذا النوع من الكتابة عاملا مهما فى ترقية النثر إلى حد كبير وقد ساهم صاحب كتاب «البدائع» بفصوله فى إعلاء شأن أدب المقال كما ساهم فى هذا المجهود الجليل غيره من الأدباء الأجلاء أمثال الأساتذة الجهابذة أحمد أمين ومصطفى صادق الرافعى والزيات والمازنى وعبد الوهاب عزام وسواهم من أئمة الأدب وأساطينه.

إلا أننا نؤاخذ صاحب «البدائع» ونعتب عليه وننكر كل الانكار ما أدرجه فى الكتاب عن طيش ونزق من بعض فصول فى الخصومة بينه وبين أحد أعلام الأدب والبيان وكان لزاماً عليه أن يتناساها لا أن يحييها بوضعها فى الكتاب فإن هذه الفصول الشائنة بين سائرها لهى كالنقط السوداء فى الصفحة البيضاء يعافها الذوق واللياقة والكياسة.

يوسف محمد